موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية

(٢٥)

الحياء

الباحث الرئيسي ورئيس الفريق العلمي
أ.د. مرزوق بن صنيتان بن تنباك

www.mtenback.com

دار رواح للنشر والتوزيع

ⓒ مرزوق بن صنيتان بن تنباك ، ١٤٢١ هـ

فهرسة مكتبة الملك فهد الوطنية أثناء النشر

موسوعة القيم ومكارم الأخلاق العربية والإسلامية/مرزوق بن صنيتان بن تنباك ... [أخ]. الرياض.

٥٢ ج؛ ١٧×٢٤ سم

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-٢١٠-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٥)

١- الأدب العربي – موسوعات أ- ابن تنباك ، مرزوق بن صنيتان (م . مشارك)

ديوي ٨١٠,٣ ٢١/٢٠٧٨

رقم الإيداع : ٢١/٢٠٧٨

ردمك : ٤-١٨٥-٣٨-٩٩٦٠ (مجموعة)

٩-٢١٠-٣٨-٩٩٦٠ (ج ٢٥)

www.mtenback.com

فهرس المحتويات

الموضـــوع	الصفحة
توطئة	٥
الحياء لغةً	٧
الحياء اصطلاحاً	٨
أنواع الحياء	١٠
الحياء في القرآن الكريم	١٤
الحياء في شعر النساء	٥٨
الحياء في شعر الحكمة والأمثال	٦٤
استحياء الكبير من الصغير	٧٠
أثر الحياء في الحياة الاجتماعية	٧٥
قالوا عن الحياء	٨١
الفهارس	٨٥

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فَإِذَا رُزِقَتْ خَلِيقَةً مَحْمُودَةً فَقَدِ اصْطَفَاكَ مُقَسِّمُ الأَرْزَاقِ

فَالنَّاسُ هَذَا حَظُّهُ مَالٌ وَذَا عِلْمٌ وَذَاكَ مَكَارِمُ الأَخْلَاقِ

حَافِظ إِبْرَاهِيم

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

توطئة:

يعد الحياء صفة أخلاقية غالبة لكثير من القيم والمكارم، فما ذكرت فضيلة أو مكرمة إلا كان الحياء وراءها، وما سلك الإنسان مسلكًا حميدًا ولا باشر قولاً سديدًا أو رأيًا شديدًا إلا كان الحياء ركيزة الحمد وأساس السداد وسبيل الرشاد.

وإذا كانت الأمور تعرف بمظاهرها الدالة عليها، وسماتها المعبرة عنها، فالحياء دائمًا يخبرك عن صاحبه، فهو المرآة الصادقة التي تعكس الجوانب المجهولة من الشخصية، قال الشاعر[1]:

لا تَسْأَلِ المرءَ عَن خَلائِقِهِ ... في وَجْهِهِ شَاهِدٌ من الخَبَرَ

والحياء من أكمل الصفات وأوضحها دلالة على صاحبه، فهو يكسو الوجه رونقه، ويكسبه بهاءه وحلته، ويضفي عليه الوقار فيكون حياة في الوجه وحياة في المشاعر الكامنة في النفس وهو من كمال المروءة، وصفة اليقين، كما أنه أحد الدلائل عل حسن السرائر. فمن رزق الحياء فلا شك أنه رزق خيرًا من المال، ونال فوق الحطام الزائل، لأن «من كساه الحياء ثوبه، لم ير الناس عيبه».

[1] انظر: الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب: أدب الدنيا والدين، حققه: مصطفى السقا، مكتبة الرياض الحديثة، الطبعة الثالثة، (١٣٧٥هـ/١٩٥٥م)، ص٢٤٠.

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

الحياء لغة:

قبل الخوض في موضوع الحياء يجدر أن نعرج على تعريفه وحدّه لينطلق البحث من مفهوم محدد لمعنى الحياء وتستقيم رؤية أولية تنساب منها معاني الحياء وأحواله ووجوهه المختلفة، في اتجاه مرسوم واضح.

يقول عنه الخليل: الحياء من الاستحياء، ورجل حَيِيٌّ، وامرأة حَيَّةٌ[٢]:

وَأَحْيَى حَيَاءً مِنْ فَتَاةٍ حَيَّةٍ وَأَشْجَعُ مِنْ لَيْثٍ بِخُفَّانَ خَادِرِ

وهو في الأصل: الحشمة، أو هي من مرادفات الحياء[٣].

وللعرب في هذا الحرف لغتان يقال: استحى فلان يستحي، واستحيا فلان يستحيي، والقرآن نزل باللغة التامة قال الله تعالى: ﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً﴾[٤].

وقال أبو الحسن الأخفش: «استحيا بياء واحدة: لغة تميم، وبياءين لغة أهل الحجاز وهو الأصل ويقول أبو العلاء المعري: واستحياه واستحيا منه بمعنى الحياء قال الشاعر[٥]:

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِيهِ وَالتُّرْبُ بَيْنَنَا كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيهِ حِينَ يَرَانِي

---

[٢] الفراهيدي: الخليل بن أحمد: كتاب العين، بتحقيق: د. مهدي المخزومي، د. إبراهيم السامرائي، دار مكتبة الهلال، ج٣، ص٣١٧-٣١٨، ورواية الديوان: «وتوبة أحيا من فتاة حيية وأجرأ، انظر: الأخيلية: ليلى بنت عبدالله الأخيلية، شرح و ضبط: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم، ص١٧.

[٣] ابن منظور: محمد بن مكرم، لسان العرب، بيروت، دار صادر، ج١٢، ص١٣٥، (حشم)؛ وابن السكيت: أبو يوسف: يعقوب بن إسحاق، كنز الحفاظ، في كتاب تهذيب الألفاظ، جمع وضبط: الأب لويس شيخو اليسوعي، بيروت، المطبعة الكاثوليكية للآباء اليسوعيين، (١٨٩٩م)، ص٨٢-٨٣.

[٤] سورة البقرة: ٢٦.

[٥] المعري، أبو العلاء أحمد بن عبد الله: ثلاث رسائل في اللغة، تحقيق: الدكتور صلاح الدين المنجد، بيروت، دار الكتاب الجديد، ط١ (١٩٨١م) ص٥٥.

www.mtenback.com

وللحياء مرادفات عند اللغويين منها: خجل الرجل خجلاً، إذا فعل فعلاً يستحى منه وأخجله الأمر فخجل .

وقد احتفت بعض المصادر بالحياء، وعقدت له فصولاً تعرِّف به من ناحيـــة أو تبحث بنيته وجذوره اللغوية من ناحية ثانية أو نحو ذلك، فابن سيده عقد فصلاً للحياء في المخصص، ومثله فعل إبراهيم اليازجي في العصر الحديث حيث عقد فصلاً خاصًا في أحد كتبه خصه بالحديث عن «الحياء والوقاحة» عرج فيه على ما قيل عند القدامى في تعريف الحياء[٦].

ومن عرض أقوال اللغويين عن الحياء نجدهم يتفقون على تفسير واحد له هـــو «الاستحياء» ولكن بعضهم يذهب إلى استحضار مرادفاته، فيذكر التّوبة، والخَجَـــلَ، والخشية وغيرها.

الحياء اصطلاحًا:

لا نجد تعريفًا وصفيًا للحياء، ومظهره النفسي والحسي والعقلي، أو ما يمكن أن نسميه بالتعريف الاصطلاحي للحياء، على أن من الجدير بالملاحظة ما نلمـــح مـــن وصف أثر الحياء النفسي أو الجسدي وتشبيه أثره بلون الصفرة وذلك فيما أنشده أبـــو عبد الله النمري من قول الشاعر:

صَفْرَاءُ مِـــنْ بَقَـــرِ الجَـــوَاءِ كَأَنَّمَـــا تَـــرَكَ الحَيَـــاءُ بِهَـــا رَدَاعَ سَـــقِيْمِ

فالتأثير العضوي للحياء ينعكس على وجه الحيي، وتظهر علاماته في انقبـــاض النفس من السيّئ، وفي الانصراف عنه حذرًا من اللوم وهو جميل، وأجمل ما يكـــون في النساء، وذلك حين تنكسر أنظارهن، وتتمارض لواحظهن، يقول الفرزدق[٧]:

---

[٦] اليازجي: إبراهيم اللبناني، كتاب تحفة الرائد، وشرعة الوارد، في المترادف والمتوارد، المنصورة لاهـــور باكستان، مجمع المعارف الإسلامية، ص٢٢٥-٢٣١.

[٧] الفرزدق، همام بن غالب، بن صعصعة: ديوان الفرزدق، دار صادر، بـــيروت، (١٣٨٦هـــ/١٩٦٦م)، ج٢، ص٣٣.

www.mtenback.com

يُشَبَّهْنَ مِنْ حُلْـــوِ الحَيَـــاءِ كَأَنَّهَـــا مِرَاضُ سِلاَلٍ، أَوْ هَوَالِـــكُ نُـــزَّفُ

وأجمل الحياء ما كان متدرعًا بالإسلام وتعاليمه، فيجمع مع العفاف الانصيـــاع للإسلام الذي جاء متممًا لمكارم الأخلاق. وهذا عروة بن أذينة وقد عـــرض لبعـــض النساء الخفرات، وقد زانهن الحياء مع الإيمان، فلا يكاد يسمع لهن صوت، ولا يتكلمن إلا همسًا، وربما أغرى ذلك اللين في الكلام بعض الطامعين فيظن بهن سوءًا، وما ذلك إلا من فرط الحياء، وهن بمنأى عن الريبة والخنوع، يقول فيهن[٨]:

بِيْضٌ نَوَاعِـــمُ مَـــا هَمَمْـــنَ بِرِيْبَـــةٍ كَظِبَـــاءِ مَكَّـــةَ صَيْدُهُـــنَّ حَـــرَامُ

يُحْسَبْنَ مِنْ لِيْـــنِ الْكَـــلاَمِ زَوَانِيًـــا وَيَصُدُّهُـــنَّ عَـــنِ الْخَنَـــا الإِسْـــلاَمُ

والحياء نوعان نفساني: وهو الذي خلقه الله تعالى في النفوس كلها كالحياء من كشف العورة، وإيماني: وهو أن يمنع المؤمن من فعل المعاصي خوفًا من الله تعالى[٩].

ولما كان الحياء قاعدة أخلاقية عظيمة في تنظيم السلوك الإنساني، سواء كـــان ذلك في العبادات أو المعاملات، فقد وضع له الإسلام تعريفًا في اصطلاحه العام، عـــبر عنه الحديث الشريف أبلغ تعبير، فجعل تلك القاعدة جامعة في ألفاظها ومعانيها، فقـــد قال الرسول الله ﷺ لصحابته: «استحيوا من الله حق الحياء. قالوا: يا رسول الله! إنـــا نستحي والحمد لله، قال: ليس ذلك، ولكن: الاستحياء من الله حق الحياء أن تحفـــظ الرأس وما وعى، والبطن وما حوى، وتذكر الموت والبلى، ومن أراد الآخرة ترك زينـــة الدنيا، فمن فعل ذلك، فقد استحيا من الله حق الحياء»[١٠].

---

[٨] ابن أذينة، عروة: شعر عروة بن أذينـــة، تحقيـــق: يحيـــى الجبـــوري، الكويـــت، دار العلـــم، ط٣، (١٤٠٣هـــ/١٩٨٣م)، ص٤١.

[٩] الشريف الجرجاني، علي بن محمد: كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، (١٩٧٨م)، ص١٠٠.

[١٠] ابن حنبل: الإمام أحمد بن محمد، موسوعة السنة، «الكتب الستة وشروحها: ٢١» مسند أحمد بـــن حنبل، إستانبول، دار الدعوة، سحنون، ط٢، (١٤١٣هـــ/١٩٩٢م)، ج١، ص٣٨٧.

www.mtenback.com

هذا التعريف الشامل الكامل يعد من جوامع كلمه صلوات الله عليه وسلامه، وهو في إطاره العام يأمر الإنسان بالحياء، ليكون إنسانًا سويًا في حياته، ولصالح معاشه ومعاده، لأنه يوجه كل جوارح الإنسان وملكاته لخيره وخير الإنسانية، ويجعل من الحياء مسيطرًا أخلاقيًا عليه، ومنظمًا أدبيًا وتربويًا له، وهذا التعريف لم يسمح لأي حاسة أو جارحة أن تفلت عن الانضباط الأخلاقي والسلوكي الذي يعنيه الحياء، وأثره في هذه الجوارح، المحددة في الرأس وما وعاه، والبطن وما حواه، خصوصًا، فالرأس يعني العقل، كما أنه وعاء السمع والبصر، وأدوات الشم والتذوق، وآلة النطق. والبطن يحوي مضغة القلب الأداة المسيطرة على الجسد كله، الذي يصلح بصلاحها، ويفسد بفسادها، كما يحوي بيت الأكل والشرب الذي يمد كل هذه الحواس بالطاقة أو وقود الحركة.

ويتصل بالبطن ووظيفته: البضع، والجوارح الأخرى، كاليدين والرجلين، فالحياء زمام ذلك كله، وصمام أمنه وأمانه.

ومتى كان ذلك مرعيًا، دعا إلى تذكر الموت والبلى، والزهد في زينة الدنيا، واستهداف الإنسان الباقيات الصالحات.

أنواع الحياء:

يقول أبو الحسن الماوردي: «واعلم أن الحياء في الإنسان قد يكون على ثلاثة أوجه: أحدها: حياؤه من الله تعالى. والثاني: حياؤه من الناس. والثالث: حياؤه من نفسه.

وذهب إلى تفصيل هذه الأوجه الثلاثة وملخصها:

يكون الحياء من الله تعالى بامتثال أوامره، والكف عن زواجره، واستشهد بحديث «استحيوا من الله حق الحياء» وقال: هذا الحديث من أبلغ الوصايا.

www.mtenback.com

والحياء من الناس: يكون بكف الأذى، وترك المجاهرة، فعن النبي ﷺ أنه قال: «من تقوى الله اتقاء الناس»[11]، وعن حذيفة بن اليمان أنه أتى الجمعة فوجد الناس قد انصرفوا، فتنكب الطريق عن الناس وقال: «لا خير فيمن لا يستحي من الناس»[12].

وهذا النوع من الحياء قد يكون من كمال المروءة وحب الثناء، ولذلك قال ﷺ: «من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له».

أما حياء المرء من نفسه فيكون بالعفة وصيانة الخلوات. قال بعض الحكماء: ليكن استحياؤك من نفسك أكثر من استحيائك من غيرك، وقال بعض الأدباء: من عمل في السر عملاً يستحي منه في العلانية فليس لنفسه عنده قدر. ودعا قوم رجلاً كان يألف عشرتهم فلم يجبهم، وقال: إني دخلت البارحة في الأربعين، وأنا أستحيي من سني، وقال بعض الشعراء:

فَسِرِّي كَإِعْلاَنِي وَتِلْكَ خَلِيْقَتِي ... وَظُلْمَةُ لَيْلِي مِثْلُ ضَوْءِ نَهَارِيَا

وهذا النوع من الحياء قد يكون من فضيلة النفس، وحسن السريرة فمتى كمل حياء الإنسان من وجوهه الثلاثة، فقد كملت فيه أسباب الخير. وانتفت عنه أسباب الشر، وصار بالفضل مشهوراً، وبالجميل مذكوراً، وإن أخل بأحد وجوه الحياء لحقه من النقص بإخلاله بقدر ما كان يلحقه من الفضل بكماله»[13].

وجاء في لباب الآداب: أن الحياء على وجوه سبعة هي:

حياء الخيانة، كآدم عليه السلام، لما فرّ هاربًا من الجنة، قال الله تعالى له: أفراراً منا؟ قال: لا، بل حياء منك.

---

[11] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٣-٢١٥.

[12] المصدر السابق نفسه.

[13] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وحياء التقصير: كالملائكة، يقولون: ما عبدناك حق عبادتك، وهم الموصوفون بأنهم ﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ﴾[١٤].

وحياء الإجلال: كإسرافيل عليه السلام: تسربل بجناحيه حياء من الله تعالى.

وحياء الكرماء: كالنبي ﷺ: استحيا من القوم وقد دعاهم إلى وليمة عرسه فأطالوا الجلوس واستحى أن يقول: اخرجوا، فقال الله سبحانه: ﴿وَلَا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ﴾[١٥].

وحياء الحشمة: كعلي بن أبي طالب رضي الله عنه حين سأل المقداد كي يسأل رسول الله ﷺ عن حكم المذي، لمكان فاطمة رضي الله عنها منه.

وحياء الاستحقار: كموسى عليه السلام إذ قال: إنه لتعرض على قلبي الحاجة فأستحي أن أسألكها يا رب. فقال الله عز وجل: سلني حتى ملح عجينك، وعلف شاتك.

وحياء الإنعام: وهو حياء الرب تبارك وتعالى، يدفع إلى العبد كتابًا مختومًا ما عبر على الصراط قال فيه: «فعلت ما فعلت ولقد استحييت أن أظهر عليك، فاذهب فإني قد غفرت لك»[١٦].

وحياء استصغار النفس. وهناك حياء محبة. وحياء شرف وعزة.

حياء الاستحقار واستصغار النفس: كحياء العبد من ربه عز وجل حين يسأله حوائجه، احتقارًا لشأن نفسه، واستصغارًا لها. وقد يكون لهذا النوع سببان:

أحدهما: استحقار السائل نفسه، واستعظام ذنوبه وخطاياه. الثاني استعظام مسؤوله.

---

[١٤] سورة الأنبياء: ٢٠.

[١٥] سورة الأحزاب: ٥٣.

[١٦] ابن منقذ: لباب الآداب، ص٢٨٣-٢٨٤.

www.mtenback.com

أما حياء المحبة: فهو حياء المحب من محبوبه، حتى إنه إذا خطر على قلبه في غيبته هاج الحياء من قلبه، وأحس به في وجهه، ولا يدري ما سببه، وكذلك يعرض للمحب عند ملاقاته محبوبه ومفاجأته له روعة شديدة، ومنه قوله: «جمال رائع» وسبب هذا الحياء والروعة ما لا يعرفه أكثر الناس.

وأما حياء العبودية: فحياء ممتزج مع محبة وخوف، ومشاهدة عدم صلاح عبوديته لمعبوده وأن قدره أعلى وأجل منها، فعبوديته له توجب استحياءه منه لا محالة.

وأما حياء الشرف والعزة: فحياء النفس العظيمة الكبيرة إذا صدر منها ما هو دون قدرها من بذل أو عطاء وإحسان. فإنه يستحي صاحبها مع بذله حياء شرف وعزة نفس. وهذا له سببان:

أحدهما، هذا، والثاني استحياؤه من الآخذ، حتى كأنه هو الآخذ السائل. حتى إن بعض أهل الكرم لا تطاوعه نفسه بمواجهته لمن يعطيه حياء منه.

وأما حياء المرء من نفسه: فهو حياء النفوس الشريفة العزيزة الرفيعة من رضاها لنفسها بالنقص، وقناعتها بالدون، فيجد نفسه مستحيًا من نفسه، حتى كأن له نفسين، يستحي بإحداهما من الأخرى، وهذا أكمل ما يكون من الحياء، فإن العبد إذا استحى من نفسه فهو بأن يستحي من غيره أجدر[١٧].

وأضاف إلى تلك الأنواع: «حياء الرقابة» وأول الحياء: حياء يتولد من علم العبد بنظر الحق إليه، فيجذبه إلى تحمل المجاهدة ويحمله على استقباح الجناية، ويسكّنه عن الشكوى.

فإن العبد متى علم أن الله تعالى ناظر إليه أورثه هذا العلم حياءً منه، فيجذبه إلى احتمال أعباء الطاعة.

---

[١٧] ابن قيم الجوزية: تهذيب مدارج السالكين، ص٣٩٠-٣٩٣.

www.mtenback.com

وأرفع منه درجة: الاستقباح الحاصل عن المحبة، فاستقباح المحب أتم من استقباح الخائف. ولذلك فإن هذا الحياء يكف العبد عن أن يشتكي لغير الله، فيكون قد شكا الله إلى خلقه، ولا يمنع الشكوى إليه سبحانه، فإن الشكوى إليه سبحانه فقر، وذلة، وفاقة، وعبودية، فالحياء منه في ذلك لا ينافيها[١٨].

الحياء في القرآن الكريم:

بين أحضان الجنة خلقت هذه القيمة الأخلاقية الفاضلة «الحياء» مجسدة في فعل آدم عليه السلام وزوجه، ولعلها أول الخلال الإنسانية التي نزعت إليها الفطرة التي فطر الله الناس عليها.

ذلك أن آدم عليه السلام وزوجه أسكنهما الله الجنة، وأمرهما ألا يقربا شجرة منها: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلَا مِنْهَا رَغَدًا حَيْثُ شِئْتُمَا وَلَا تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الظَّالِمِينَ﴾[١٩]. فخالفا أمر ربهما بسبب وسوسة الشيطان وإغرائه وأكلا من تلك الشجرة، ﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا﴾[٢٠]، أي انكشفت لهما ﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ﴾[٢١] لستر العورة استحياء من ربهما، وهذا ما جاء على لسان آدم عندما انطلق موليًا، ليغطي عورته وقد ناداه ربه: «أي آدم أَمِنِّي تفر؟ قال: لا ولكني استحيتك يا رب»[٢٢].

---

[١٨] ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ص٣٩٠-٣٩٣.

[١٩] سورة البقرة: ٣٥.

[٢٠] سورة الأعراف: ٢٢.

[٢١] سورة الأعراف: ٢٢.

[٢٢] الطبري: أبو جعفر، محمد بن جرير: جامع البيان، عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر، (١٤٠٨هـ/١٩٨٨م)، م٥، ج٨، ص١٤٩.

www.mtenback.com

ومن إشارات القرآن إلى الحياء ومكانته قول الله تعالى: ﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي سَوْآتِكُمْ وَرِيشًا وَلِبَاسُ التَّقْوَى ذَلِكَ خَيْرٌ﴾[٢٣]. فقد ذهب بعض المفسرين إلى أن: «لباس التقوى الذي ذكره الله في القرآن هو الحياء»[٢٤].

والحياء صفة بارزة في أخلاق النبي ﷺ، ملازمة له في العسر واليسر، وقد أحسن أبو دهبل الجمحي القول حين قال عنه[٢٥]:

عَقِمَ النِّسَاءُ فَمَا يَلِدْنَ شَبِيْهَهُ ... إِنَّ النِّسَاءَ بِمِثْلِهِ عُقْمُ

مُتَهَلِّلٌ بِنَعَمْ، بِلاَ مُتَبَاعِدٌ ... سَيَّان مِنْهُ الوَفْرُ وَالْعُدْمُ

نَزِرُ الكَلاَمِ مِنَ الْحَيَاءِ تَخَالُهُ ... سَقَمًا، وَلَيْسَ بِجِسْمِهِ سُقْمُ

حيث كان يتملّكه الحياء حتى في الأوقات التي يتولد عن حيائه بعض الأذى لنفسه، ولا أدلّ على ذلك من قوله تعالى فيه: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلاَّ أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ إِلَى طَعَامٍ غَيْرَ نَاظِرِينَ إِنَاهُ وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا وَلا مُسْتَأْنِسِينَ لِحَدِيثٍ إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[٢٦].

---

[٢٣] سورة الأعراف: ٢٦.

[٢٤] الطبري: جامع البيان عن تأويل آي القرآن، م٥، ج٨، ص١٤٩.

[٢٥] الجمحي، أبو دهبل، وهب بن زمعة: ديوان أبي دهبل الجمحي، رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، النجف العراق، مطبعة القضاء، الطبعة الأولى، (١٣٩٢هـ/١٩٧٢م)، ص٦٦ــ٦٧.

[٢٦] سورة الأحزاب: ٥٣.

www.mtenback.com

إذن لقد كان بقاء الصحابة في بيته بعد تناولهم طعام الوليمة الذي دعوا إليه حين بنى بزوجه زينب بنت جحش رضي الله عنها، كان طول بقائهم في داره يؤذيه، فيمنعه الحياء عن التصريح بما يحس به من الأذى، فنطق الوحي بأن هذا المقام ليس مقام حياء، ﴿مِنكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ﴾[٢٧].

وفي مقام آخر عاتبه الله سبحانه وتعالى عتاب تشريع وتأديب وتربية وتهذيب حين أخفى ما كان الجهر به أولى، فقال تعالى: ﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ﴾[٢٨]، إن هذا الإخفاء والخشية لم ينطويا إلا على موقف من مواقف الحياء، التي كانت تمليها على الرسول ظروف البيئة، والله سبحانه يريد أن يصحح الموقف بحكم ينسجم مع أحكام الشريعة التي أقرها الله تعالى.

ثم إنه إذا كان الحياءُ في حق المؤمنين واجبًا فهو في حق الأنبياء أوجب، وقد كان محمد عليه الصلاة والسلام «أشد حياء من العذراء في خدرها»[٢٩] كما كان موسى عليه السلام رجلاً حييًا[٣٠].

ومن إشارات القرآن أيضًا إلى مكانة الحياء الأخلاقية، وأثرها السامي الذي يلازم الكثير من مكارم الأخلاق التي أقرها الإسلام، ويدخل فيها معنى وأثرًا، تلك الصفات المضمنة في آياته نصًا أو معنى، مثل: الوقار والحشمة والخشية والوفاء وأداء الأمانة والعفة والصبر وغض البصر والكرم والصون، إلى غير ذلك من سائر مكارم القيم الأخلاقية.

---

[٢٧] سورة الأحزاب: ٥٣.

[٢٨] سورة الأحزاب: ٣٧.

[٢٩] ابن حنبل، موسوعة السنة، ٢٢، مسند أحمد بن حنبل، ج٣، ص٧١.

[٣٠] البخاري، موسوعة السنة، ٢، صحيح البخاري، ج٦، ص٢٧-٢٨.

www.mtenback.com

وقد علا شأن الحياء عند الناس فكلهم مجمعون على علو مكانته من الأخلاق، جاء في الحديث: «إن لكل دين خلقًا وإن خلق الإسلام الحياء»[٣١]، كما جاء فيه: «الحياء خير كله»[٣٢]، و«الحياء لا يأتي إلا بخير»[٣٣]. وكيف لا يكون كذلك، وهو الخلق الذي يدعو لخير السلوك، وتجنب كل قول أو فعل يجفوه الذوق السليم والطبع الكريم؟! وكيف لا وهو شعبة من الإيمان[٣٤].

«وما كان الحياء في شيء قط إلا زانه»[٣٥] وقد أحب الله هذه الصفة، وهي إحدى صفاته سبحانه، ففي الحديث: «إن الله حيي ستير يحب الحياء»[٣٦]، وجاء فيه أيضًا: «إن الله عز وجل يستحي أن يبسط العبد يديه يسأله فيهما خيرًا فيردهما خاليتين»[٣٧] وهو حياء يليق بجلاله تقدست أسماؤه وصفاته.

كما أن الحياء من الإرث الأخلاقي القويم في نبوات الأمم السابقة للإسلام.

جاء في الحديث: «إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى: إذا لم تستح فاصنع ما شئت»[٣٨]، وهذه دعوة لترك كل ما يُستحى منه، وإتيان ما تدعو إليه فضيلة الحياء.

ولأن في الحياء من سمو المكانة، واستقامة الطريقة، وسمت الفضيلة وجمال الوقار: ما هو اقتداء بالنبيين والمرسلين، واتباع لسننهم في مكارم الأخلاق، جاء في الحديث: «أربع من سنن المرسلين، الحياء، والتعطر، والسواك، والنكاح»[٣٩].

---

[٣١] ابن ماجة: أبو عبد الله، محمد بن زيد، موسوعة السنة، ١٨، سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٣٩٩.

[٣٢] مسلم، الإمام أبو الحسين، بن الحجاج، «موسوعة السنة: ٤» صحيح مسلم، ج١، ص٦٤.

[٣٣] مسلم، الإمام أبو الحسين، بن الحجاج، «موسوعة السنة، ٤، صحيح مسلم، ج١، ص٦٤.

[٣٤] مسلم: «موسوعة السنة: ٤» صحيح مسلم، ج١، ص٦٣.

[٣٥] ابن ماجة، موسوعة السنة، ج١٨، سنن ابن ماجة، ج١، ص١٤٠٠.

[٣٦] النسائي: أحمد بن شعيب، «موسوعة السنة: ١٥»، سنن النسائي، ج١، ص٢٠٠.

[٣٧] ابن حنبل: «موسوعة السنة: ٢٣»، مسند أحمد بن حنبل، ج٥، ص٤٣٨.

[٣٨] ابن ماجة: «موسوعة السنة: ١٨» سنن ابن ماجة، ج١، ص١٤٠٠.

[٣٩] الترمذي: «موسوعة السنة: ١٣» سنن الترمذي، ج٣، ص٣٩١.

www.mtenback.com

لقد زرع الإسلام صفة الحياء في أهله، وسجل التاريخ مواقف مختلفة لبعضهم، منهم عثمان بن عفان رضي الله عنه الذي وصف بأنه رجل حيي[٤٠]، وكثرة حيائه جعلت النبي ﷺ يستحي منه ويقول: «ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة؟!»[٤١].

لقد كان الصحابة الكرام حريصين على تعلم الحياء وتعليمه، من ذلك أن أحد الأنصار كان يعظ أخاه في الحياء، وكأنه استنكر منه سلوكه الذي فعله بسبب الحياء، فأرشد رسول الله ﷺ الواعظ وصحح الموعظة إيثاراً للحياء، فقال ﷺ: دعه، فإن الحياء من الإيمان»[٤٢].

ولا شك أن هذا التوجيه النبوي من قواعد الأخلاق الكريمة، ومن جوامع كلمه صلوات الله عليه وسلامه، ومن الإشارات الواضحة إلى المكانة السامية لقيمة الحياء .

ومن تمجيد السنة للحياء، وتأكيد صلته بالجنة التي خلق بين أحضانها كما سبق القول وأنه يقود صاحبه إليها إذا اتصف به وعمل بمقتضى ما جاء في الحديث: «الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة والبذاء من الجفا، والجفا من النار»[٤٣].

وكل ما جاء في السنة عن الحياء إنما مؤداه الدعوة إلى احترام الفطرة وما جبل عليه طبع الإنسان.

والحياء في لغة العرب يعني التمسك بكل صفات الخير والمحامد ومنها التزام الحشمة والوقار وحسن السمت وانقباض النفس عن كل قبيح يضع الفرد أو الجماعة في مكان الذم واللوم. ويحط من المكانة الكريمة للمرء حسب تفاوت طبيعي بين الأفراد والجماعات، ووفقًا لحالة الوعي الثقافي والفكري .

---

[٤٠] مسلم: «موسوعة السنة: ٥» صحيح مسلم، ج٢، ص١٨٦٦-١٨٦٧.

[٤١] مسلم: «موسوعة السنة: ٥» صحيح مسلم، ج٢، ص١٨٦٦-١٨٦٧.

[٤٢] ابن حنبل: «موسوعة السنة»: ١، مسند أحمد بن حنبل: ج٥، ص٥٦.

[٤٣] الترمذي: «موسوعة السنة»: ١٣، سنن الترمذي: ج٤، ص٣٦٥.

www.mtenback.com

ومن دلائل أصالة الحياء في طبع العربي وخلقه، ما روي عن أبي موسى الأشعري وقد كرّ على «الجشمي» الذي رمى الصحابي الجليل أبا عمر الأشعري يوم حنين ثم فر هاربًا، فكان أبو موسى يناديه وهو يلاحقه: «ألا تستحي؟ ألست عربيًا؟ ألا تثبت؟ فكف عن الهرب حياءً وتقابلا حتى قتله أبو موسى»[٤٤].

والحياء مطلب حسن في كل حال وفي كل ظرف، ففي السلم يحسن الحياء، وكذا في الحرب يجمل بالرجل الحياء، عندما لا يكون من الحرب بدٌّ، ولا من مقابلة الخصم محيص، فيجمل بالفتى أن يثبت، ولا يحسب للموت حساباً، ولا يلتفت إلى من يعذله، لأن الموت آت لا محالة، سواء في الحرب أو في السلم، وإن على المرء ألا يجبن حيث يدعو الموقف إلى الشجاعة والاستبسال، وأن من الحياء ألا يلام، يقول عنترة[٤٥]:

وَلَقَدْ عَدَوْتُ أَمَامَ رَايَةِ غَالِبٍ ... يَوْمَ الْهِيَاجِ وَمَا عَدَوْتُ بَأَعْزِلِ

بَكَرَتْ تُخَوِّفُنِي الْحُتُوفَ كَأَنَّنِيْ ... أَصْبَحْتُ عَنْ غَرَضِ الْحُتُوفِ بِمَعْزِلِ

فَأَجَبْتُهَا إِنَّ الْمَنِيَّةَ مَنْهَلٌ ... لاَبُدَّ أَنْ أُسْقَى بِكَأْسِ الْمَنْهَلِ

فَاقْنَي حَيَاءَكِ لاَ أَبَالَكِ وَاعْلَمِي ... أَنِّي امْرُؤٌ سَأَمُوتُ إِنْ لَمْ أُقْتَلِ

ويربط الحياء جميع مكارم الأخلاق برباط وثيق فالكرم لايكون إلا عند من يستحي من البخل، والأمر يطول لو أردنا أن نقارن كل قيمة خلقية فاضلة وموضع الحياء من فعلها لأنه قاسم مشترك بين الفضائل الأخلاقية، فرجل مثل حاتم الطائي قد

---

[٤٤] ورد هذا في حديث طويل، انظر: مسلم: ابن الحجاج، «موسوعة السنة»: ٥، صحيح مسلم، ج٢، ص١٩٤٣.

[٤٥] أبو الفرج الأصفهاني: علي بن الحسين، الأغاني، شرحه وكتب هوامشه سمير جابر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، (١٤١٢هـ/١٩٩٢م)، ج٨، ص٢٥٠.

www.mtenback.com

شهر حياؤه، كما شهر كرمه، وإذا كان كرمه قد رفعه لأن يخص أضيافه بما يحرم منه نفسه وأهله، فإن حياءه يمنعه أن يفعل ما تدعوه إليه الغريزة الجائرة، فيقول[٤٦]:

رُبَّ بَيْضَاءَ فَرْعُهَا يَتَثَنَّى ... قَدْ دَعَتْنِي لِوَصْلِهَا فَأَبَيْتُ

لَمْ يَكُنْ بِيْ تَحَرُّجٌ غَيْرَ أَنِّيْ ... كُنْتُ خِدْنًا لِزَوْجِهَا فَاسْتَحَيْتُ

ويأتي الحياء عنده في مواقف الكرم، فمن لازم الحياء أن يأكل أقل من أكل أصحابه إذا جمعتهم مائدة أو إناء، وأن يكون مبيته على الطوى خاوي البطن من الزاد الذي اجتمع مع صحبه عليه خيرًا من شبع قد يجر عليه ملامًا فيقول[٤٧]:

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِيْ صِحَابِي أَنْ يَرَوْا ... مَكَانَ يَدِيْ مِنْ جَانِبِ الزَّادِ أَقْرَعَا

أُقَصِّرُ كَفِّي أَنْ تَنَالَ أَكُفَّهُمْ ... إِذَا نَحْنُ أَهْوَيْنَا وَحَاجَتُنَا مَعَا

أَبِيْتُ خَمِيْصَ الْبَطْنِ مُضْطَمِرَ الْحَشَا ... حَيَاءً أَخَافُ الذَّمَّ أَنْ أَتَضَلَّعَا

والتمسك بأهداب الحياء صفة تلازم حاتمًا في فقره، أو في حال حصول نكبة من النكبات عليه، فهو يقول[٤٨]:

إِذَا قَلَّ مَالِيْ أَوْ نُكِبْتُ بِنَكْبَةٍ ... قَنَيْتُ حَيَائِي عِفَّةً وَتَكَرُّمَا

ويتأكد من هذا: أن الحياء غالبًا يلازم حالة الكرم، وما يقترن بها من توفر المال وعدمه ومثل هذا المعنى والروح الحية الكريمة نفسها يأتي قوله[٤٩]:

---

[٤٦] الطائي، حاتم بن عبد الله، ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صنعه: يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: د. عادل سليمان جمال القاهرة، مطبعة المدني، ص٩٠-٩٣.

[٤٧] المصدر السابق، ص٢٤٧،٢٥٧،١٨٢،١٨٣.

[٤٨] المصدر السابق، ص٢٨٧.

[٤٩] المصدر السابق، ص٢٥٤.

www.mtenback.com

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِي مِنَ الأَرْضِ أَنْ تُـــرَى ... بِهَا النَّابُ تَمْشِي فِي عَشِيَّاتِهَا الغُـــبْرِ
وَعِشْتُ مَعَ الأَقْوَامِ بِـــالْفَقْرِ وَالْغِنَـــى ... سَقَانِي بِكَأْسَيْ ذَاكَ كِلْتَاهُمَا دَهْـــرِي

والحياء ليس حكرًا على النساء، بل هو في الرجال صفة تجمل بـــالحرّ، وبهـــا يستحق المرء أن يمدح، فإذا كانت علاماته تظهر بوضوح عند النساء، فـــإن بعـــض الرجال قد ارتقت بهم أخلاقهم مراقي جعلت عزوفهم عن الدنايـــا، وتضحيـــاتهم، وقناعتهم بما بين أيديهم، وصونهم ماء وجوههم، وبعدهم عن المهانات بجميع أشكالها؛ جعلهم ذلك ممدوحين بالحياء، لأنه هو الذي صبغ حياتهم بما هي عليـــه مـــن شمـــم وشجاعة وعفة. يقول بشر بن أبي خازم في مدح «عمرو بن الحارث الكندي»[٥٠]:

بَحْـــرٌ يَفِيْـــضُ لِمَـــنْ أَنَـــاخَ بِبَابِـــهِ ... مِنْ سَائِلٍ وثِمَـــالِ كُـــلِّ مُعَصَّـــبِ
وَلأَنْـــتَ أَحْيَـــا مِـــنْ فَتَـــاةٍ غَالَهَـــا ... حَذَرٌ وَأَشْجَعُ مِنْ شَـــمُوْسٍ أَغْلَـــبِ

ويقترن الحياء بالذكاء كثيرًا، إذ إن الحييّ السريّ غالبًا ما يكون ذكيًا، وذكاؤه يجعله أكثر إدراكًا لحاجة أمثاله كرماء النفوس، الذين يمنعهم حياؤهم عن التفوه بمكنون صدروهم، وطرح حاجاتهم صراحة، فالحرّ تكفيه الإشارة وطبائع النفـــوس الحييـــة ينعكس على صفحاتها شعور الآخرين بالحاجة، وتدرك أحاسيسهم المكبوتة، فتســـرع إلى قضاء حوائجهم دونما حاجة إلى إهراق ماء وجوههم، يصور ذلك أمية بـــن أبـــي الصلت وهو يعرض حاجته على عبد الله بن جدعان، ويشكو وطأة الدين الذي أقـــضّ مضجعه، وكثرة إلحاح الدائنين بطلب الوفاء، وهو عاجز عن السداد من جهة، والحياء يجعله بين ناري الحاجة والوفاء الذي هو من شيم الكرماء، من جهة أخرى يقول[٥١]:

---

[٥٠] الأسدي: بشر بن أبي خازم، ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، دمشق، وزارة الثقافة، مدير إحيـــاء التراث القديم، (١٣٧٩هـــ/١٩٧٠م)، ص٣٣، وهامشها، ص٣٨.

[٥١] أبو الفرج الأصفهاني: الأغاني، ج٨، ص٣٤٠.

www.mtenback.com

أَأَذْكُـرُ حَـاجَتِي أَمْ قَـدْ كَفَـانِي ... حَيَـاؤُكَ إِنَّ شَـيْمَتَكَ الحَيَـاءُ
وَعِلْمُـكَ بِـالأُمُوْرِ وَأَنْـتَ قَـرْمٌ ... لَكَ الْحَسَـبُ الْمُهَـذَّبُ وَالسَّـنَاءُ
كَرِيْـمٌ لاَ يُغَـيِّرُهُ صَبَـاحٌ ... عَـنِ الْخُلُـقِ السَّـنِيِّ وَلاَ مَسَـاءُ

ومن الطريف أن المتفضل في رأي أمية هو الحيي وهذه مفارقة لطيفة، لأنه إذا كان المعهود أن السائل هو الذي يستحيي من السؤال فإن شهامة العربي جعلت الحياء صفة له حتى وهو يجود وينعم .

ونرى الحياء يدفع أحيانًا صاحبه إلى المجاملة ولو كانت على حساب سعادته، فيمنعه الحياء عن التقصير مع أقوام قد لا يعلم مكنون ضمائرهم، يقول الشماخ بن ضرار[٥٢]:

أُجَـامِلُ أَقْوَامًـا حَيَـاءً وَقَـدْ أَرَى ... صُدُوْرَهُـمُ تَغْلِـي عَلَـيَّ مِرَاضُهَـا

كما أن الحياء من الخصال التي يُتمدح بها، ويهتبلها الشعراء المادحون فهو خصلة حميدة تدل على كرم الطبيعة، وأحسن به من قنية يلتزمها صاحبها، ولا يفرط فيها، لأنها تحمل صاحبها على فعل كل جميل، وتردعه عن كل ما يخل ولا يجمل من الأمور. يقول كعب بن زهير مفتخرًا[٥٣]:

هَلاَّ سَـأَلْتِ وَأَنْـتِ غَـيْرُ عَيِيَّـةٍ ... وَشِفَاءُ ذِي العِيِّ السُّؤَالُ عَنِ الْعَمَـى
عَن مَشْهَدِي بِبُعاثَ إِذْ دَلَفَـتْ لَـهُ ... غَسَّانُ بِـالبِيْضِ القَوَاطِـعِ وَالقَنَـا

---

[٥٢] الشماخ بن ضرار الذبياني: ديوانه، حققه وشرحه: صلاح الدين الهادي، مصر، دار المعارف، (١٩٦٨م)، ص٢١٥.

[٥٣] ابن زهير: كعب، ديوانه، صنفه الإمام: أبي سعيد السكري، الرياض، دار الشواف للطباعة والنشر، ط١، (١٤١٠هـ/١٩٨٩م)، ص٤١-٤٢.

www.mtenback.com

إنّي امْرُؤٌ أَقْنِي الحَيَاءَ وَشِيْمَتِي ... كَرَمُ الطَّبِيعَةِ وَالتَّجَنُّبُ للخَنَا

مِنْ مَعْشَرٍ فِيهِمْ قُرُومٌ سَادَةٌ ... وَلُيُوثُ غَابٍ حِيْنَ تَضْطَرِمُ الْوَغَى

والحياء ستر لصاحبه، ومن حُرم فضل الحياء، فحسبه أن يمشي بين الناس لا يجد ما يستر جسده من لباس أو نحوه، يقول الشاعر[٥٤]:

وَإِنِّي أَرَى مَنْ لاَ حَيَاء لَهُ ... وَلا أَمَانَةَ وَسْطَ الْقَوْمِ عُرْيَانَا

فأي خلق يبقى للمرء إن هو حرم صفتي الحياء والأمانة؟!

وكما أن الحياء يستر صاحبه كما يستره اللباس، فإنه كذلك يقيه قالة الناس، ويمنع عرضه من آفات ألسنتهم وقذفه بالحق أو بالباطل، وهو بالنساء أجمل وألصق، يقول النابغة الجعدي أثناء مدح نساء بني تميم[٥٥]:

وَمِثْلُ الدُّمَى، شُمُّ العَرَانِينِ سَاكِنٌ ... بِهِنَّ الْحَيَاءُ لا يُشِعْنَ التَّقَافِيَا

والعرب إذا رأت الرجل خرج عن طوره زجرته بالإرعواء، والعودة إلى الحياء، لما فيه من ستر لصاحبه، عندما يخطئ أو يتجاوز إلى ما ليس له أو مالا يجب أن يفعله، وإن كان ذلك في حدود علاقات الناس أو صلاتهم مع بعض، فيجب أن يعرف المرء الصواب فيفعله، أما إن تجاوز ذلك فقد أخل بأدب الحياء الذي يمنع عن ارتكاب الخطأ. والأعشى يقدم لنا الشاهد حين يزعم أن علقمة بن عُلاَّثة تجاوز حدَّه حين نافر من يراه الأعشى أولى منه بالسؤدد فوبخه بشعر منه هذان البيتان[٥٦]:

يَا عَجَبَ الدَّهْرِ مَتَى سُوِّيَا ... كَمْ ضَاحِكٍ مِنْ ذَا، وكَمْ سَاخِرِ

---

[٥٤] الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٥.

[٥٥] الجعدي: النابغة: شعر النابغة الجعدي، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، (١٣٨٤هـ/١٩٦٤م)، ص١٧٩-١٨٠.

[٥٦] الأعشى الكبير: ميمون بن قيس، ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د.م. محمد حسين، مصر، مكتبة الآداب بالجماميز، (١٩٥٠م)، ص١٣٩.

www.mtenback.com

فَـاقْنَ حَيَـاءً أَنْـتَ ضَيَّعْتَـهُ مَالَكَ بَعْـدَ الشَّـيْبِ مِـنْ عَـاذِرِ

وخليق بالرجل وقد شاب وعركته الحياة أن يلزم الحياء، فهو به جدير، ويزينه حياؤه، ويحمل الآخرين على أن يستحيوا منه لحيائه وتقدم السن به.

وما أجمل الحياء من حلية للرجل الأبي الذي يهبّ للنجدة في حينها، ويمنع الظلم أن يقع، أو العار أن يحل به أو بسواه. انظر إلى الأعشى وهو يمدح بالحياء والأنفة من العار معًا في قوله[٥٧]:

لاَ يَرْفَعُ الطَّـرْفَ إِلاَّ عِنْـدَ مَكْرُمَـةٍ مِنَ الحَيَاءِ، وَلاَ يُغْضِـي عَلَـى عَـارِ

فالكريم جدير برفع رأسه وبصره وهو أهل لكل عزة ومنعة، ومثله الأبيّ الغيور الذي لا يقر الضيم والظلم، وبين هذين يتميز الحياء بإلباس صاحبه ثياب الطمأنينة وغض البصر.

وكما أن الحييّ يغضّ بصره حياءً، فإن ذلك ينعكس على الآخرين حوله، فالحياء يكسوه وقارًا لأنه في قمة مكارم الأخلاق، حين يكون الحياء مبعثًا للشمم والمروءة واللطف ومن ذلك قول الفرزدق في وصف «زين العابدين» واختياره الحياء في مناسبة مشهورة مذكورة في كتب الأدب[٥٨]:

هَذَا الَّذِي تَعْرِفُ الْبَطْحَـاءُ وَطْأَتَـهُ وَالْبَيْـتُ يَعْرِفُـهُ وَالْحِـلُّ وَالْحَـرَمُ

إِذَا رَأَتْـهُ قُرَيْـشٌ قَـالَ قَائِلُهَـا إِلَى مَكَـارِمِ هَـذَا يَنْتَهِـي الْكَـرَمُ

يُغْضِي حَيَاءً وَيُغْضَـى مِـنْ مَهَابَتِـهِ فَمَـا يُكَلَّـمُ إِلاَّ حِيْـنَ يَبْتَسِـمُ

وفي الإغضاء صورة جليلة للوقار والاحتشام والمهابة، وهذه صفات مناسبة للمدح إذا وقع موقعه، وعرف الرجل متى يكون حييًا .

---

[٥٧] الأعشى الكبير، ديوانه، ص١٤١-١٤٣.

[٥٨] الفرزدق: همام بن غالب، ديوان الفرزدق، بيروت، دار صادر، دار بيروت، (١٣٨٥هـ/١٩٦٦م)، ج٢، ص١٧٩.

www.mtenback.com

وفي النساء يكون حلية وجمالاً إذا أغضت المرأة حياء، أو امتقع وجهها صفرة من فرط الحياء، فالفرزدق يصف تأثير الحياء على وجوه النساء، مصورًا أثره فيهن كتأثير المرض، أو كأنما هلكن من كثرة النزيف الذي حوّل جمالهن إلى صفرة يبدو فيها الموصوف بالتهالك والضعف فيقول[٥٩]:

عَزَفْتَ بِأَعْشَاشٍ وَمَا كِدْتَ تَعْزِفُ ... وَأَنْكَرْتَ مِنْ حَوْرَاءَ مَا كُنْتَ تَعْرِفُ

يُشَبَّهْنَ مِنْ فَرْطِ الْحَيَاءِ كَأَنَّهَا ... مَرَاضُ سِلالٍ، أَوْ هَوَالِكُ نُزَّفُ

ويجسد ابن المعتز الصورة التي يضفيها الحياء على وجه صاحبته، فهو يصفرُّ تارة ويتورد أخرى . وهي صورة لا يزال الناس يطلقونها عندما يصفون تغير الوجه لشدة الحياء، يقول[٦٠]:

يَا مَنْ يَجُودُ بِمَوْعِدٍ مِنْ لَحْظِهِ ... وَيَصُدُّ حِينَ أَقُولُ: أَيْنَ الْمَوْعِدُ

وَيَظَلُّ صَبْغُ الْحَيَاءِ بِخَدِّهِ ... تَعِبًا يُعَصْفِرُ تَارَةً وَيُوَرِّدُ

وصباغ الحياء هذا حلية أسبغها الشعراء على ممدوحيهم، وأنعم بها من حلة كأنما اصطبغت بالعصفر الزاهي الذي يزين وجه الممدوح، يقول ابن خفاجة مادحًا[٦١]:

طَلْقُ الْمُحَيَّا وَالْيَدَيْنِ كَأَنَّهُ ... قَمَرٌ تَطَلَّعَ فِي غَمَامٍ أَمْطَرَا

لَبِسَ الْرِّدَاءَ مِنَ الثَّنَاءِ مُطَرَّزًا ... فَوْقَ الْقَمِيصِ مِنَ الْحَيَاءِ مُعَصْفَرَا

---

[٥٩] الفرزدق: ديوانه، ج٢، ص٢٣.

[٦٠] ابن المعتز: أبو العباس، عبد الله بن محمد، ديوان أشعار الأمير أبي العباس، عبد الله بن محمد المعتز، دراسة وتحقيق: د. محمد بديع شريف، مصر، دار المعارف، (١٩٧٧م)، ص٣٤٣.

[٦١] ابن خفاجة: إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله، ديوان ابن خفاجة، ضبط وشرح وتحقيق: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار القلم، ص١٠٦.

www.mtenback.com

ويقول في مقام آخر[٦٢]:

لَمْ أنْسَ لَيْلَةَ رُعْتُ سِـــرْبَكَ زائـــرًا ... فَكَأنَّمـــا رَوَّعْـــتُ فيهـــا جُـــؤْذرا

فأقَمْتُ عِطْفًا أزْوَرًا وجلوتُ وجـــ ... ـــهًا أَزْهَـــرًا، وأدَرْتُ طَرْفًـــا أحْـــوَرا

وَضَفَا رِدَاءٌ مِـــنْ شَـــبَابِكَ أَبْيَـــضٌ ... وَلَرُبَّمَا اعْـــتَرَضَ الْحَيَـــاءُ فَعَصْفَـــرَا

وللمتنبي موقف أخرجه عما عرف عنه من قوة وافتخار واعتداد بنفسه، فذكر أنه مرض حتى اصفر وجهه نتيجة تعلقه بمحبوبته، فلما التقيا امتقعت حياءً، فـــاصفرّ وجهها الأبيض فأشبه وجهه هو، مع فارق المؤثر، فصفرة وجهه من المرض، وصفـــرة وجهها من الحياء، حتى كأن وجهها الأبيض الجميل فضة طليت بالذهب، يقـــول في ذلك[٦٣]:

قَالَتْ وَقَدْ رَأَتِ اصْفِرَارِيَ مَـــنْ بِـــهِ ... وَتَنَهَّـــدَتْ فَأَجَبْتُهَـــا الْمُتَنَهِّـــدُ

فَمَضَتْ وَقَدْ صَبَغَ الحيـــاءُ بَيَاضَهَـــا ... لَوْنِي كَمَا صَبَغَ اللُّجَـــينَ العَسْـــجَدُ

وكثيرًا ما يصور بياض الوجه بالنرجس، وحمرته من الخجل والحياء بحمرة الورد يقول ابن وكيع التنيسي[٦٤]:

أَخْجَلَـــهُ الـــنَّرْجِسُ إِذْ جَادَلَـــهْ ... فَاحْمَرَّ مِـــنْ فَـــرْطِ حَيَـــاءٍ وَخَفَـــرْ

ثم يقول[٦٥]:

---

[٦٢] ابن خفاجة، ديوانه، ص١١٤.

[٦٣] المتنبي: أحمد بن الحسين، أبو الطيب، ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكـــبري، ضبطـــه وصححه ووضع فهارسه، مصطفى السقا وزميلاه، مصر شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، (١٣٩١هـــ/١٩٧١م)، ج٢، ص٥٣.

[٦٤] الضبي: الحسن بن علي الشهير بابن وكيع التنيسي، ديوان الحسن علي الضبي، تحقيق: هلال نـــاجي، بيروت، دار الجبل، الطبعة الأولى، (١٤١١هـــ/١٩٩١م)، ص٥٦.

[٦٥] الضبي: ديوانه، ص١٣٥.

www.mtenback.com

الوَرْدُ يُخْجِلُ كُلَّ نُورٍ طَالِعٍ وَتَرَاهُ مُنْتَقِبًا بِحُمْرَةِ مُخْجِلِ

وإسبال الجفون عند النساء استحياءً من صور الجمال التي صورها الشعراء، فهؤلاء نسوة قد تعرضن لمكروه، فهب الفرسان لنجدتهن، وعندما انقشع الغم نظرن إلى وجوه الفرسان فعرفنهم، فأسبلن الجفون وذرفن الدموع حياءً مما أصابهن، يقول في ذلك الفرزدق[٦٦]:

حَتَّى تَدَارَكَهَا فَوَارِسُ مَالِكٍ رَكْضًا بِكُلِّ طَوَالَةٍ وَطَوَالِ

لَمَّا عَرَفْنَ وُجُوْهَنَا وَتَحَدَّرَتْ عَبَرَاتُ أَعْيُنِهِنَّ بِالإِسْبَالِ

وَذَكَرْنَ مِنْ خَفَرِ الْحَيَاءِ بَقِيَّةً بَقِيَتْ، وَكُنَّ قُبَيْلَ فِي أَشْغَالِ

والحياء كساء للمرأة الجميلة وإن كانت كاسية كان لباس الحياء لها زينة وبهاء لأنه يضفي عليها عفة الصون كما وصف بشار ذلك بقوله[٦٧]:

بَيْضَاءُ لَبَّسَهَا الْحَيَاءُ عَفَافَةً فَضْلَ القِنَاعِ إِذَا خَلَتْ لَمْ تُوْصَدِ

وقديمًا تغزل الشعراء بفاترات الأطراف اللاتي يزينهن الحياء عندما تنكسر أنظارهن، وتتمارض لواحظهن، يقول بشار[٦٨]:

وَجَوَارٍ إِذَا تَحَلَّيْنَ لَمْ تَدْ رِ أَشَاءٌ فِي حَلْيِهَا أَوْ نِسَاءُ

يَتَعَرَّضْنَ لِي بِفَاتِرِ الطَّرْ فِ إِذَا أَقْبَلَتْ ثَنَاهَا الْحَيَاءُ

ضَامَهُنَّ الَّذِي تَمَنَّيْنَ شُغْلِي بِفَتَاةٍ مِنْهَا التُّقَى وَالْحَيَاءُ

---

[٦٦] الفرزدق: ديوانه، ج٢، ص١٦٥.

[٦٧] ابن برد: بشار: ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، الشركة الوطنية للنشر والتوزيع، الجزائر، ج٢، ص١٩.

[٦٨] بشار بن برد: ديوانه، ج١، ص١٤١.

www.mtenback.com

إن أثر الحياء يمتد من الحييّ إلى من يتصل به فيؤثر فيه حياء، وهذا التأثير نفسي إذ تنعكس مشاعر الحياء على الآخرين، فيقدّرون مواقف الحيي، حتى ولو تسبب ذلك في حرمانهم مما كانوا يؤملون، يقول أبو نواس[٦٩]:

فَدَيْتُ مَنْ حَمَّلْتُهُ حَاجَةً ... فَرَدَّ مِنْهُ بِفَضْلِ الْحَيَاءْ

وَقَالَ مَا شِئْتَ فَسَلْ غَيْرَنَا ... فَفِي الَّذِي تَطْلُبُ جَازَ الإِبَاءْ

لقد كان الردّ جميلاً، والموقف واضحًا، والفتوى لا تحتمل التأويل، ولكن الحياء يكسب صاحبه المبدأ السليم للحياة الكريمة، فهو يدعو صاحبه إلى التعفف وصون النفس وإكرامها وعزتها، وينفرها من كل عيش تكتنفهُ الذلة والمهانة، حتى ولو كان المرء في أقسى الظروف وتحت وطأة الرماح والسيوف، يقول الحطيئة:

وَأَكْرَمْتُ نَفْسِيْ الْيَوْمَ مِنْ سُوْءِ طُعْمَةٍ ... وَيَقْنَى الْحَيَاءَ الْمَرْءُ وَالرُّمْحُ شَاجِرُهْ

والحياء في جميع العصور كان محوراً لمدائح المادحين من الشعراء لأن الحياء سلوك يعكس طبيعة النفس البشرية، فصوّروا الحياء وهو يمارس على مائدة الحياة مقرونًا بخصال التمجيد الأخرى تارة، منفصلاً عن غيره من القيم تارة أخرى، مصرّحين به مرة، ومكنّين عنه أخرى بحسب المواقف التي يعالجونها، فعندما قال حسّان بن ثابت في وصف الشباب[٧٠]:

مَسَامِيْحُ بِالْمَعْرُوفِ وَسْطَ رِحَالِنَا ... وَشُبَّانُنَا بِالْفُحْشِ أَبْخَلُ بَاخِلِ

---

[٦٩] أبو نواس: الحسن بن هانئ، ديوان أبي نواس، حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت، دار الكتاب العربي، ص٢٣٩.

[٧٠] الأنصاري: حسان بن ثابت، شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري ضبط وتصحيح: عبد الرحمن البرقوقي، بيروت، دار الأندلس، (١٣٨٦هـ/١٩٦٦م)، ص٣٧١.

www.mtenback.com

إنما يفتخر بصفة قدسها العرب واحترموها فكانوا أبعد عن البذاء والجفاء، فهم عند المعروف كرام، ونفوسهم سمحة طيبة، ولا يبخلون إلا بإتيان الفحشاء، لأنهم لا يقرون السوء ولا يقربونه فهم من العفاف والشرف والنجدة وحفظ حق الجار بمنزلة عالية:

وَهُمْ خَيْرُ حَيٍّ تَعْلَمُوْنَ لِسَائِلٍ عَفَافًا وَعَانٍ مُوْثَقٌ فِي السَّلاَسِلِ

وَمِنْ خَيْرِ حَيٍّ - تَعْلَمُوْنَ - لِجَارِهِمْ إِذَا اخْتَارَهُمْ فِي الأَمْنِ أَوْ فِي الزَّلاَزِلِ

ويمنعهم الحياء من أفعال الخنا، بالقول أو بالعمل، وهم في الوقت نفسه يلهجون بالمعروف، ويذكرون الإحسان المصاحب للحياء ولوازمه، يقول[٧١]:

أَبَى فِعْلُنَا الْمَعْرُوفَ أَنْ نَنْطِقَ الْخَنَا وَقَائِلُنَا بِالْعُرْفِ إِلاَّ تَكَلُّمَا

لقد جعل الله المال زينة الحياة الدنيا، والناس في تعاملهم مع هذه الزينة على ضربين، أحدهما: بَطِرٌ متكبر، والآخر مقدِّر هذه النعمة شاكرٌ للمنعم بها، مقيِّد ذلك بالحمد، مذكّرٌ نفسه أن المال والأهلون ودائع في هذه الحياة «ولابدّ يومًا أن تُردّ الودائع»، فالصنف الأول يمكن أن يقال فيه إن المال أنساه حياءه وعفته، فأصبحت الحياة عنده لا تساوي غير المال والحطام الفاني، أمّا الآخر فما تزيده النعم إلا شكرًا لله، كما لا تفل معدنه واقعات الدهر وقسوة الحدثان، وفي هذا يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه[٧٢]:

وَإِنْ أَكُ ذَا مَالٍ قَلِيْلٍ أَجُدْ بِهِ وَإِنْ يُهْتَصَرْ عُوْدِي عَلَى الجَهْدِ يُحْمَدِ

فَلا الْمَالُ يُنْسِيْنِي حَيَائِي وَعِفَّتِي وَلاَ وَاقِعَاتُ الدَّهْرِ يَفْلُلْنَ مِبْرَدِي

---

[٧١] حسان بن ثابت، ديوانه، ص٤٢٨.

[٧٢] المصدر السابق، ص١٨٤.

www.mtenback.com

والفقر ربما أضاف إلى أهله ثقل الحياء، لا سيما إذا كان المقام يقتضي الإنفاق أو يدعو إلى التضحية بالمال، وللمال أهمية للمرأة في علاقتها بالرجل ومثل ذلك شرخ الشباب، فلو اجتمعا فإن العلاقة ستقوى أواصرها، وتستمر جذوة نارها، أما إذا فقدا فحري بالعلاقة أن تتوقف، فإن فقد أحدهما أوجد الصراع المرّ بين العاطفة والعقل، وربما دعا أحد الطرفين إلى بتر تلك العلاقة، لتأثير الحياء على مسارها، وما أحسن الحياء في مواطنه، يقول حسان بن ثابت رضي الله عنه[٧٣]:

وَلَوْ تُجَالِسُنِي فَيَمْنَعُنِي ... ضِيقُ الذِّرَاعِ وَعِلَّةُ الْخَفْرِ

لَوْ كُنْتِ لاَ تَهْوَيْنَ لَمْ تَرِدِي ... أَوْ كُنْتِ مَا تَلْوِينَ فِي وَكْرِ

لأَتَيْتُهِ لاَبُدَّ طَالِبَةً ... فَاقْنَيْ حَيَاءَكِ وَاقْبَلِي عُذْرِي

إلا أن بعض العشاق قد ينزع جلباب الحياء، ويجهر بمكنون خاطره، وهؤلاء قلة ممن اعتادوا للتعرض للنساء المصونات، واهتبال الفرص لاختلاس النظر إليهنّ، فلا يجرؤ على هذا الخلق الذميم حتى ينزع لباس الحياء ويتجرد من موانعه كما وصف عمر بن أبي ربيعة نفسه قائلاً[٧٤]:

مَرَّنِي سِرْبُ ظِبَاءٍ ... رَائِحَاتٍ مِنْ قُبَاءِ

زُمَّرًا نَحْوَ الْمُصَلَّى ... مُسْرِعَاتٍ فِي خَلاَءِ

فَتَعَرَّضْتُ وَأَلْقَيْـ ... ـتُ جَلاَبِيبَ الْحَيَاءِ

وَقَدِيمًا كَانَ عَهْدِي ... وَفُتُونِي بِالنِّسَاءِ

---

[٧٣] حسان بن ثابت: ديوانه، ص٢٣٣.

[٧٤] ابن أبي ربيعة، عمر بن عبد الله: ديوانه، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الأندلس، القسم الأول من الكتاب إلى أخبار عمر بن أبي ربيعة، ص٣٧٦.

www.mtenback.com

وعمر مع افتتانه بالنساء يعترف بعفة بعضهن وحيائهن وكريم أخلاقهن، الأمر الذي يزيد من تعلقه بهن، فيقول[٧٥]:

وَبِنَفْسِي ذَوَاتُ خلْقٍ عَمِيمٍ هُنَّ أَهْلُ الْبَهَا وَأَهْلُ الْحَيَاءِ
قَاطِنَاتٌ دُوْرَ الْبَلاَطِ كِرَامٌ لَسْنَ مِمَنْ يَزُوْرُ فِي الظَّلْمَاءِ

ويؤكد ما للحياء من أثر كبير في العلاقات الإنسانية، فهو يردع المحب عن خيانة محبوبته، ويصبغ حياته بالتعفف والتكرم والوفاء، فيقول مخاطبًا أم الهيثم[٧٦]:

لاَ وَالَّذِي بَعَثَ النَّبِيَّ مُحَمَّدًا بِالنُّوْرِ وَالإِسْلاَمِ دِيْنِ الْقَيِّمِ
مَا خُنْتُ عَهْدَكِ يَا عُثَيْمَ وَلاَ هَفَا قَلْبِي إِلَى وَصْلٍ لِغَيْرِكِ فَاعْلَمِي
فُكِّي أَسِيْرًا يَا عُثَيْمَ فَإِنَّهُ خَلَطَ الْحَيَاءَ بِعِفَّةٍ وَتَكَرُّمِ

والحياء يحمل قيمة عالية تساعد في كبح جماح النفس، والارعواء عن الغواية والضلال يقول ابن أبي ربيعة مخاطبًا محبوبته[٧٧]:

وَالنَّفْسُ يَمْنَعُهَا الْحَيَاءُ فَتَرْعَوِي وَتَكَادُ تَغْلِبُنِي إِلَيْكِ مِرَارَا

بل إن الشاعر نفسه يجعل الحياء من عوامل الصبر وهو خير معين للمرء في كثير من المواقف التي هي بحاجة إلى الصبر والتجلد، يقول[٧٨]:

يَا قَلْبُ هَلْ لَكَ عَنْ حُمَيْدَةَ زَاجِرُ أَمْ أَنْتَ مُدَّكِرُ الْحَيَاءِ فَصَابِرُ؟!

والصبر مظهر من مظاهر الحياء، وهو عزاء لمن نأت به الدار أو تغير عليه الحال وبهذا المعنى يقول قيس بن ذريح[٧٩]:

---

[٧٥] عمر بن أبي ربيعة، ديوانه، ص٤٦٠.
[٧٦] المصدر السابق، ص١٤٣.
[٧٧] المصدر السابق، ص٤٦٥.
[٧٨] المصدر السابق، ص٤٩٥.
[٧٩] ابن ذريح: قيس ولبنى، شعر ودراسة، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، مصر، مكتبة مصر، ص١٠٤.

www.mtenback.com

فَيَا قَلْبُ خَبِّرْنِي إِذَا شَطَّتِ النَّوَى ... بِلُبْنَى وَصَدَّتْ عَنْكَ مَا أَنْتَ صَانِعُ؟
أَتَصْبِرُ لِلْبَيْنِ الْمُشِتِّ مَعَ الْجَوَى ... أَمَ انْتَ امْرُؤٌ نَاسِي الْحَيَاءِ فَجَازِعُ؟!

وربما كانت قسوة الزمان عاملاً لنفاد صبر المرء، وعندئذ يجزع ويخرج عن طور الحياء والاحتشام تأثرًا بالضرر الذي نزل به، إلا أن بعضهم لا تزيده النوائب إلا صبرًا وحياء، وكأنما هي نار ذهب بها خبث الحديد، وأصبح المعدن صافيًا، ولذلك قال علي ابن الجهم(٨٠):

وَلَمْ نَدَعِ الْحَيَاءَ لِمَسِّ ضُرٍّ ... وَبَعْضُ الضُّرِّ يَذْهَبُ بِالْحَيَاءِ

والحياء يحكم السلوك العام ويخلق العادة الحسنة في أدب الإنسان ويربيه على ما يحسن بالإنسان أن يفعله حتى يرضى الناس سلوكه ويحترمون شخصه، والمرأة هي المعنيّ بهذه الصفة التي تزين بّها نفسها ويحمدها غيرها على حدّ قول الشاعر(٨١):

قَطُوفٌ أَلِيفٌ لِلْحِجَالِ يَزِينُهَا ... مَعَ الدَّلِّ مِنْهَا جِسْمُهَا وَحَيَاؤُهَا
مُنَعَّمَةٌ لَيْسَتْ بِسَوْدَاءَ سَلْفَعٍ ... طَوِيلٍ لِجَيْرَانِ الْبُيُوتِ نِدَاؤُهَا
فَدَتْكِ مِنَ النِّسْوَانِ كُلُّ سَرِيرَةٍ ... صَخُوبٍ كَثِيرٍ فُحْشُهَا وَبِذَاؤُهَا

فعلامات الحياء ظاهرة على صاحبته متمثلة في كثرة صمتها، وقلة كلامها إذا تكلمت، وهي لما يجللها من الحياء تكاد مدامعها تفصح بمكنونها(٨٢):

---

(٨٠) ابن الجهم: علي، ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه: خليل مردم بك، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٨٣.

(٨١) ابن معمر: جميل، ديوان جميل شاعر الحب العذري، جمع وتحقيق: د. حسن نصار، مصر: مكتبة مصر، ص٢١.

(٨٢) ابن الملوح: قيس، ديوان مجنون ليلى، شرح: د. يوسف فرحات، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة، (١٤١٧هـ/١٩٩٧م)، ص٧٢.

www.mtenback.com

وَتَـرَى مَدَامِعَهَـا تُرَقْـرِقُ مُقْلَـةً ... سَوْدَاءَ تَرْغَبُ عَنْ سَـوَادِ الإِثْمِـدِ
خَـوْدٌ إِذَا كَـثُرَ الْكَـلاَمُ تَعَـوَّذَتْ ... بِحِمَى الْحَيَاءِ، وَإِنْ تَكَلَّـمُ تَقْصُـدِ

وليس تأثير الحياء ظاهرًا في سلوك النساء فحسب، بل يظهر كذلك في سلوك الرجال، فالمحب يصدّ عن حبيبته حياء، ولا يغلو في تصرفه نحوها يقول مجنون ليلى[٨٣]:

أَصُدُّ حَيَـاءً أَنْ يَلِـجَّ بِـيَ الْهَـوَى ... وَفِيْكِ الْمُنَى، لَوْلاَ عَـدُوًّا أُحَـاذِرُه

ويبلغ به الحياء حدًا يجعله رقيبًا عليه عند غياب محبوبته، فيقول[٨٤]:

وَإِنِّـي لأَسْـتَحْيِيْكِ حَتَّـى كأنّمـا ... عَلَيَّ بِظَهْرِ الْغَيْـبِ مِنْـكِ رَقِيْـبُ

وقد يلجم الحياء المحبّ فلا يطلب ما تتوق إليه نفسه من الوصل[٨٥]:

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِيْكِ أَنْ تَعْرِضِي الْمُنَـى ... بِوَصْلِكِ، أَوْ أَنْ تَعْرِضِي فِي الْمُنَى لِيَـا

ومن انعكاس الحياء على صاحبه أن يكون له رادعًا قويًا عن بعض مظاهر السلوك، التي قد تدل على غير اللائق من الأخلاق، أو الخضوع في القول حتى لا يكون المرء في موضع الريبة وهذا المتنبي يحاور المرأة بهذا المعنى فيقول[٨٦]:

حَاشَى لِمِثْلِـكِ أَنْ تَكُـوْنَ بَخِيْلَـةً ... وَلِمِثْلِ وَجْهِكِ أَنْ يَكُـوْنَ عَبُوْسَـا
وَلِمِثْلِ وَصْلِـكِ أَنْ يَكُـوْنَ مُمَنَّعًـا ... وَلِمِثْلِ نَيْلِـكِ أَنْ يَكُـوْنَ خَسِيْسَـا
خَوْدٌ جَنَتْ بَيْنِـي وَبَيْـنَ عَوَاذِلِـي ... حَرْبًا وَغَـادَرَتِ الْفُـؤَادَ وَطِيْسَـا
بَيْضَـاءُ يَمْنَعُهَـا الْتَّكَلُّـمَ دَلُّهَـا ... تِيْهًـا وَيَمْنَعُهَـا الْحَيَـاءُ تَمِيْسَـا

---

[٨٣] قيس ابن الملوح، ديوان مجنون ليلى، ص٩٢.

[٨٤] المصدر السابق، ص٢١.

[٨٥] المصدر السابق، ص٢٠٦.

[٨٦] المصدر السابق، ج٢، ص١٩٤-١٩٥.

www.mtenback.com

ويجعل المحبون الصدود الظاهر وقاية من ألسنة الناس، ومظهراً للتقيّة، مع ما بينهما من المودة والشوق، فالمرأة تصدّ عن محبوبها حياءً، كما يعرض عنها هو بالصدود حياءً، والله وحده المطلع على ما بين نفسيهما من الشوق إلى الآخر، فصاحبة عمر توصيه:

إِذَا جِئْتَ فَامْنَحْ طَرْفَ عَيْنَيْكَ غَيْرَنَا لِكَيْ يَحْسَبُوا أَنَّ الْهَوَى حَيْثُ تَنْظُرُ

ورفيقة القتال الكلابي تخاف الرقباء ومكرهم فتصد عنه حياء فيقول عنها[٨٧]:

فَصَدَّتْ حَيَاءً وَالْمَوَدَّةُ بَيْنَنَا وَأَبْيَضُ بَلٌّ بِالضَّغَائِنِ حَابِسُ

وحقًا فالحياء خير كله، وهو لا يأتي إلا بخير، ولذا فإن بعض الناس يستحي أن يلوم أو أن يلام، فيربأ بنفسه عن مواطن اللوم، وإن رأى بعضهم إيقاع اللائمة به تراه يذكرهم بالحياء الذي كان عليهم أن يقتنوه، كالقتال الكلابي، وقد تزوج ابنة أحد البكريين، وكان مزواجًا، فكثر لا ئموه حتى ضاق بهم ذرعًا فقال[٨٨]:

يَا صَاحِبَيَّ أَقِلاَّ بَعْضَ إِمْلاَلِي لاَ تَعْذِلاَنِي فَإِنِّي غَيْرُ عَذَّالِ

وَاسْتَحْيِيَا أَنْ تَلُومَا أَوْ أَلُومَكُمَا إِنَّ الْحَيَاءَ جَمِيلٌ أَيَّمَا حَالِ

ومع سورة الحب العارمة يظل الحياء رداء يدّرعه العشاق، ويتواصون به، كما يتواصون بالصبر على بلوائه، وإذا كان ظلام الليل يسترهم، ويحميهم من الرقباء وعيون الحساد، فإن ضياء القمر يفضحهم، ويعرضهم لخطر القالة، وهذا أثر سلوكي يلامس واقع الناس ويدل على طبيعة مجتمع بدائي الحياة ساذج التفكير بين حياء يكشفه ضوء القمر ورغبة من العاشق في لقاء آمن، يقول صريع الغواني[٨٩]:

---

[٨٧] الكلابي: القتال: ديوان القتال الكلابي، حققه وقدم له: إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، (١٣٨١هـ/١٩٦١م)، ص٦٦-٦٧.

[٨٨] القتال الكلابي: ص٨١.

[٨٩] الأنصاري: صريع الغواني، مسلم بن الوليد، شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق وتعليق: د. سامي الدهان، مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، (١٩٧٠م)، ص٢١٣.

www.mtenback.com

لَمَّا التَقَيْنَا افْتَرَعْنَا فِي تَعَاتُبِنَا ... مِنَ الحَدِيْثِ وَمِنْ لَذَّاتِهِ الْعُذُرَا
لَمَّا بَدَا الْقَمَرُ اسْتَحْيَتْ فَقُلْتُ لَهَا ... بَعْضَ الْحَيَاءِ، فَإِنَّ الحُبَّ قَدْ ظَهَرَا

وقد يمنع الحياء صاحبه من التعبير الصريح عن آلامه، فيحبس الدموع في مآقيه وقلبه يتمزق إمّا للحبّ وأما للفراق يقول جرير وهو يرثي زوجته، فيراوح بين عاطفة إنسانية كريمة وبين عادات وأعراف اجتماعية لابد أن يحترم مدلولها وينصاع لأحد الحالين، فلم يجد بدًا من التجاوز والتعبير عن حاله فقال[٩٠]:

لَوْلاَ الْحَيَاءُ لَعَادَنِي اسْتِعْبَارُ ... وَلَزُرْتُ قَبْرَكِ، وَالْحَبِيْبُ يُزَارُ

ويظل الحياء مراقبًا حيًا ورادعًا قويًا أمام انطلاق العواطف وإثارتها، وما أجمله من رادع، يقول الشاعر[٩١]:

خَلِيْلَيَّ مَاذَا تَأْمُرَانِي بِحَاجَةٍ ... وَلَوْلاَ الْحَيَاءُ قَدْ أَشَادَ بِهَا صَدْرِي

وفي مقام آخر يمنعه الحياء من هيجان لا يجمل بمثله، حتى ولو كان شوقه كالنار المتأججة فيقول[٩٢]:

لَمَّا رَمَتْنِي بِعَيْنِ الرِّيْمِ فَاقْتَتَلَتْ ... قَلْبِي رَمَيْتُ بِعَيْنِ الأَجْدَلِ الضَّارِي
لَوْلاَ الْحَيَاءُ لَهَاجَ الشَّوْقُ مُخْتَشِعًا ... مِثْلَ الْحَمَامَةِ مِنْ مُسْتَوْقَدِ النَّارِ

ولأن التبعة تكون بطول التجربة والعمر فإن من نال من تجارب الحياة حظه وعرف الحق من الباطل صلح أن يكون حياؤه بقدر تجاربه، وأنه لا يليق به أن يكون

---

[٩٠] جرير بن عطية، ديوان جرير بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: د. نعمان محمد أمين طه، مصر، دار المعارف، (١٩٧١م)، ج٢، ص٨٦٢.

[٩١] أبو عبيدة: كتاب النقائض: «نقائض جرير والفرزدق»، بيروت، دار الكتاب العربي، مصورة الطبعة الأوروبية، (١٩٠٥م)، ج١، ص١٧٧.

[٩٢] أبو عبيدة: كتاب النقائض، ص٢٣٤.

www.mtenback.com

كغيره ممن هم قليلو التجربة ثم فللسِّنِّ أحكامها وفضائلها. وهذا عبيد الله بن قيس الرقيات يحدث عن نفسه وسنه ونظرة الآخرين إليه فيقول على لسان المرأة:

ذَهَبْتَ وَلَمْ تَزُرْ أَهْلَ الشِّفَاءِ ... وَمَالَكَ فِي الزِّيَارَةِ مِن حُوَاءِ

كَبِرْتَ فَلَسْتَ مِنْ شَرْطِ الغَوَانِي ... وَفَارَقْتَ الصِّبَا غَيْرَ الخَفَاءِ

وَشَابَ بَنُوكَ فَاسْتَحْيَيْتَ مِنْهُمْ ... وَأُبْتَ إِلى العَفَافَةِ والْحَيَاءِ

وما أجمل أن يؤوب المرء إلى الحياء ويصطنع التخلق به إن لم يكن الحياء فيه طبيعة، وحري به أن يتقمص ثوب الحياء لأنه لا يحسن به وقد شاب أو أدرك المشيب بنيه أن يلبس غير ثوبه، وأن يكابر في مظاهر الشباب والتصابي.

والشعراء كثيراً ما يقرنون الحياء بالمشيب، إذ يرون سن المشيب سن استحياء من فعل كثير من الأمور التي قد يجد لها الشباب تفسيراً ومخرجاً، فالشراب مثلاً مع تقدم السن بالمرء قد يزري به، فتراه يتحرج من الجهر بالشراب، ويردعه حياؤه أن يحقق ما تصبو إليه نفسه، يقول ابن خفاجة[٩٣]:

وَلَئِنْ كَفَفْتُ عن الْمُدَامِ فَإِنَّ لِي ... نَفْسًا تَهِشُّ بِصَدْرِ ذَاكَ الْمَجْلِسِ

لَوْلا الْحَيَاءُ مِنَ الْمَشِيبِ لَقَلَّبَتْ ... ثَغْرَ الْحُبَابِ بِهِ، وَعَيْنَ النَّرْجَسِ

ويدعي أبو نواس أن الحياء عقلَ لسانَ من يتحدث عنه في قصيدته، فلا يستطع الكلام إلا بالإشارة والإيماء[٩٤]:

وَمُتْرَفٍ عَقَلَ الْحَيَاءُ لِسَانَهُ ... فَكَلَامُهُ بِالْوَحْيِ وَالإِيْمَاءِ

---

[٩٣] ابن خفاجة: إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله، ديوان ابن خفاجة ضبط وشرح وتحقيق: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار القلم، ص١٣٨.

[٩٤] أبو نواس: ديوان، ص٢٢٣.

www.mtenback.com

ويظل الحياء رقيبًا قويًا على أصحابه، حتى إن منهم من يخفي دمعته عن الناظرين، ويتظاهر بعدم البكاء في الوقت الذي لم تكفّ دمعته، فإن لحظها الآخرون تعذر بحجج أخرى على نحو ما يصور أبو العتاهية ذلك فيقول[٩٥]:

كَمْ مِنْ صَدِيْقٍ لَي ... أُسَارِقُهُ الْبُكَاءَ مِنَ الْحَيَاء
فَإِذَا تَأَمَّلَ لاَمَنِيْ ... فَأَقُولُ مَا بِي مِنْ بُكَاء
لَكِنْ ذَهَبْتُ لأَرْتَدِيْ ... فَطَرَفْتُ عَيْنِي بِالرِّدَاء

وهذا المتنبي يخاطب الركائب عند ظعن محبوبته، ويوصيها بالسير الهين؛ رأفة بحال تلك المنعمة المرفهة التي لا تتحمل مشقة الطريق، ووعورة المسالك ويعترف بأنه أمام موقف غلبت فيه الدموع الحياء فيقول[٩٦]:

فَاعْرِفْنَ مَنْ حَمَلَتْ عَلَيْكُنَّ النَّوَى ... وَامْشِينَ هَوْنًا فِي الأَزِمَّةِ خُضَّعَا
قَدْ كَانَ يَمْنَعُنِي الْحَيَاءُ مِنَ الْبُكَا ... وَالْيَوْمَ يَمْنَعُهُ الْبُكَا أَنْ يَمْنَعَا

والشعراء يجانسون بين الحياء والحيا (المرعى الوفير)، ويجعلونهما صفتين لممدّوحيهم، فالحياء رأس الأخلاق، والحياء كله خير وفضل ومنّة، وهما جمع المكارم، يقول أبو تمام مادحًا[٩٧]:

يَا غَايَةَ الأُدَبَاءِ والظُّرَفَاءِ بَلْ ... يَا سَيِّدَ الشُّعَرَاءِ وَالْخُطَبَاءِ
يَحْيَى بنَ ثَابِتٍ الَّذِي سَنَّ النَّدَى ... وَحَوَى الْمَكَارِمَ مِن حَيًا وَحَيَاءِ

---

[٩٥] أبو العتاهية: ديوانه، ص٢٦.

[٩٦] المتنبي، ديوانه، ج٢، ص٢٥٩.

[٩٧] الطائي، أبو تمام، حبيب بن أوس: ديوان أبي تمام بشرح الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبده عزام، مصر، دار المعارف، (١٩٦٤م)، ج١، ص٣٨-٣٩.

www.mtenback.com

وكلتا الصفتين ملازمة للحياة الكريمة، يقول ابن دريد[٩٨]:

إِنَّ الحَيَـــاةَ مِـــــنْ الحَيَـــــا وَأَرَى الْبَهَـــاءَ مِـــنَ الحَيَـــــاءِ

وفي سياق القصيدة نفسها يزيد من وصف أثر الحياء على ممدوحه فيجعل مـــن صفاء نفسه صفاء الشهاب جمالاً لأخ طيبة نفسه، يزينها جمال الحياء المنعكس علـــى وجهه وكأنه مشرب بصبغ الزينة الجميل، فيقول[٩٩]:

وَصَفَا كَمَا يَصْفُـــو الشِّـــهَابُ وَإِنَّـــهُ فِي ذَاكَ من صِبْغِ الْحَيَـــاءِ لَمُشْـــرَبُ

ويوظف أبو تمام الحياء وظيفة عضوية، شأنه في ذلك شأن صنيعـــه بـــالصور الأخرى والقيم المعنوية التي يلبسها لبسة التشخيص، فالحياء عنده دمٌ للوجه لا ينبغي أن يراق، وأهون منه إراقة دم الوريد، يقول[١٠٠]:

إِذَا سَـــفَكَ الحَيَـــاءَ الـــرَّوْعُ يَوْمًـــا وَقَـــى دَمَ وَجْهِـــهِ بِـــدَمِ الوَرِيْـــدِ

بل يذهب إلى بعث الروح في الحياء، فيصوره وقد وضع الزمام في رقبته وقـــاده كما تقاد الدابة، مطيعًا لممدوحه لا يقوى على فراقه، فيقول[١٠١]:

قُسِمَ الحَيَاءُ عَلَى الأَنَـــامِ جَمِيْعِهِـــمْ فَذَهَبْـــتَ أَنْـــتَ فَقُدْتَـــهُ بِزِمَامِـــهِ

وحسبك أن ترى الحياء في صورة شرطي أو صاحب حسبة، يمنع الجميل الفاتن من إطلاق العنان لجماله الفتاك فلا يدعه يتسلط على الناس، ويقف أمامـــه ليحبـــس

---

[٩٨] ابن دريد: محمد بن الحسن، ديوان ابن دريد وشرح مقصورته للخطيب التبريزي، قدم لـــه ووضـــع هوامشه وفهارسه: راجي الأسمر، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الأولى، (١٤١٥هـــ/١٩٩٥م)، ص٢١.

[٩٩] أبو تمام، ديوانه، ج١، ص١٣٣.

[١٠٠] المصدر السابق، ج٢، ص١٣٦.

[١٠١] المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٦.

www.mtenback.com

انطلاقته فلا يتمادى في إيذاء العشاق، وهذه السيطرة للحياء إنما تنبع من تأثيره على النزعات والسلوك، يقول[١٠٢]:

رَشَأٌ إِذَا مَا كَادَ يُطْلِقُ نَفْسَهُ ... فِي فَتْكِهِ أَمَرَ الحَيَاءُ بِحَبْسِهِ

وهي صور يستغرق فيها الممدوح صفات الجمال والكمال التي اشتمل عليها الحياء، ثم إن الحياء عنوان على عزة النفس، وصيانة العرض، كما أنه سيماء إباء وكرامة، وبه تزداد مكانة الرجال هيبة في قلوب الآخرين ويشتد احتشامهم لصاحب الحياء، وكأنما يستحى من بأسه، تقديراً لتلك الهيبة والشجاعة، حتى كأنما يرونه في الظلام كما يرونه في السفرة، يقول أبو تمام[١٠٣]:

مَثَلْتَ لَهُ تَحْتَ الظَّلاَمِ بِصُورَةٍ ... على البُعْدِ أَقْنَتْهُ الحَيَاءَ فَصَمَّمَا

ثم إن للحياء معاني سامية تتصل بالمشاعر المشتركة بين أصحاب الحاجات ومن يقصدونهم لقضائها، الأمر الذي يصعب معه أن يبوح هذا بمكنون خاطره، أو يذكر حاجته وعوزه، حياء من الآخر الذي سيلمح حاجته حتى وإن لم يصرح، ولعل كثرة الثواء من العوامل التي تنبهه إلى أن حياء صاحبها ألجمه عن الإفصاح بحاجته، يقول أبو تمام[١٠٤]:

عَلَى أَنَّ إِفْرَاطَ الحَيَاءِ اسْتَمَالَنِي ... إِلَيْكَ وَلَمْ أَعْدِلْ بِعِرْضِيَ مَعْدَلاَ

وابن التعاويذي يجانس بين الحياء المادي والحياء المعنوي فكلاهما مطلب الإنسان وكلاهما له فضل على الناس حيا الوجه وحياء السماء[١٠٥]:

---

[١٠٢] أبو تمام، ديوانه، ج٤، ص٢١٩.

[١٠٣] المصدر السابق، ج٣، ص٢٣٩.

[١٠٤] المصدر السابق، ج٣، ص١١٠.

[١٠٥] سبط ابن التعاويذي: أبو الفتح، محمد بن عبد الله، ديوان سبط ابن التعاويذي، مصورة طبعة المقطف بمصر، (١٩٠٣م)، بيروت، دار صادر، ص١٩٨.

www.mtenback.com

أَقسَمْتُ لَوْ كَانَ يَدْرِي مَا الحَيَاءُ حَيًا أَرْضًا بِهَا نَزَلَتْ جَدْوَاهُ مَـا وَكَفَـا

إن وجه الحيي يقطر حياءً كما أن الغصن الغض يقطر ندى، كما أن الكريم يقطر كرمًا، يقول أبو الحسن التهامي في مدح المظفر بن عبد الجبار[١٠٦]:

للـه عَـزْمٌ مِـنْ وَرَاءِ تِهَامَـةٍ نَـادىَ فَسِـرْتُ مُلَبِّيًـا لِنَدائِـهِ
حَتَّى ظَفِرْتُ مِـن المُظَفَّـرِ بِـالْمُنَى عَفْوًا وتِهْتُ علـى الزَّمَـانِ التَّائِـهِ
بِمُهَـذَّبٍ لَـوْلاَ صَفِيْحَـةُ وَجْهِـهِ لَجَرىَ على الَخَّدَيْـنِ مَـاءُ حَيَائِـهِ

وكلها شمائل حسنة تسبغ الحسن على وجه صاحبها، على نحو ما يصور التهامي ممدوحه الجواد «محمد بن سلامة» إذ يقول[١٠٧]:

حُسْنُ الشَّـمَائِلِ أَوْحَـدٌ فِي حُسْـنِهِ كَمُحَمَّـدِ بـنِ سَـلاَمَةٍ فِي جُـوْدِهِ
البَحْرُ بَعْـضُ حُـدُوْدِهِ، وَالْفَضْـلُ بَعْضُ شُهُودِهِ والنَّصْرُ بَعْضُ جُنُـودِهِ
تَبْـدُو أَمَـارَاتُ الْكَرِيْـمِ بِوَجْهِـهِ مِـنْ بِشْـرِهِ، وَحَيَائِـهِ، وَسُـجُوْدِهِ

ولا ينفك الشعراء يذكرون الحياء أو ماء الحياء عند الإشادة بممدوحيهم، فابن حيوس الأندلسي يقول في الثناء على أحد الأمراء[١٠٨]:

فَدَتْـكَ مُلُـوْكٌ عَلَـتْ بِـالْجُدُوْدْ وَأَعْـلاَكَ مَجْـدُكَ لَمَّـا ظَهَـرْ
وَإِنَّـكَ إِذْ جِئْـتَ مِـن بَعْدِهِـمْ سَنَا الشَّمْسِ غَطَّـى ضِيَـاءَ القَمَـرْ
يَفِيْـضُ بِوَجْهِـكَ مَـاءُ الحَيَـا ءِ إِنْ شِئْتَ نَفْعًـا وَإِنْ شِـئْتَ ضَـرْ

---

[١٠٦] التهامي، أبو الحسن علي بن محمد: ديوانه، ص٦٢.

[١٠٧] المصدر السابق، ص٢١٢.

[١٠٨] ابن حيوس: محمد بن سلطان، ديوان ابن حيوس عني بنشره وتحقيقه: خليل مردم بك، بيروت، دار صادر، مصورة النسخة التي نشرها خليل مردم بك، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ج١، ص٢٣٤.

www.mtenback.com

ثم إنَّ كل شيء رائع في المنظر خفيف على قلب السامع جعل العرب سببه الحياء وحمدوه وأكثروا من وصفه في شعرهم وفي نثرهم حتى جمال الطلعة لابد أن يكون رواه ماء الحياء، وسقاه من نبعه الفياض، كما وصف ذلك ابن منقذ في هذا البيت[١٠٩]:

فِي وَجْهِهِ مَاءُ المَلاَحَةِ حَائِرٌ وَبِخَدِّهِ وَرْدُ الْحَيَا لَمْ يُقْطَفِ

ومثله صفي الدين الحلي[١١٠]:

يُدِيْرُ الصَّفَاءَ كَمَاءِ الْحَيَا وَمَاءِ الْحَيَاءِ وَمَاءِ الْحَيَاةِ

والحياء نعمة على العبد، حتى إن بعضهم يكاد الحياء يصرعه عندما يعاتبه صديق، إذ تستحيل صفحة خده البيضاء إلى حمرة تحاكي لهب النيران المحرقة، أو ألوان شقائق النعمان، ولربما صوره الشعراء كحريق يكافح بماء الحياء الذي يغمر الوجه، يقول الشاعر[١١١]:

قَمَرٌ إِذَا عَاتَبْتَهُ شَغِفًا بِهِ غَرِسَ الْحَيَاءُ بِوَجْنَتَيْهِ شَقِيْقَا

وَتَلَهَّبَتْ خَجَلاً فَلَوْلاَ مَاؤُهَا مُتَرَقْرِقٌ فِيْهَا لَصَارَ حَرِيْقَا

ويقرن الشعراء ماء الحياء بماء الجود، في مدائحهم فكلاهما عطاء، وتتفاخر الناس بهما لمكانتهما من مكارم الأخلاق، يقول ابن التعاويذي مادحًا[١١٢]:

مَلِكٌ تُهَاجِرُ آمَالُ العُفَاةِ إلى أَبْوَابِهِ فَعَلَيْهَا مِنْهُمُ زُمَرُ

يَكَادُ مِنْ وَجْهِهِ مَاءُ الْحَيَاةِ وَمِنْ بَنَانِهِ السِّبْطِ مَاءُ الْجُوْدِ يُعْتَصَرُ

---

[١٠٩] أسامة بن المنقذ: ديوانه، ص٣٢.

[١١٠] الحلي، صفي الدين، ديوان صفي الدين الحلي، شرح وضبط وتقديم: د. عمر الفاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، (١٤١٨هـ/١٩٩٧م)، ص٥ من المقدمة.

[١١١] المصدر السابق نفسه.

[١١٢] ديوان سبط بن التعاويذي، ص٢٠٠.

www.mtenback.com

وإذا مدحت الشعراء بماء الوجه والحياء، فإنها تهجو بنضوبه وقلته، لأن فقدان الحياء يسوق المرء إلى كل ما لا يليق بالخلق الفاضل فابن التعاويذي يهجو قومًا يتكسبون بشعرهم ويصف وجوههم كأقفيتهم فيقول[113]:

وَأَوْجُهٌ كَالحَةٌ أَحْسَنُ مِنْهَا الأَقْفِيَهْ
نَاشِفَةُ الأَلْوَانِ مِنْ مَاءِ الْحَيَاءِ مُجْدِبَهْ

وحسبك أن يشبه ماء الحياء وجوه الكرام بعباب البحر الزاخر الذي تكون فيه منجاة أهل السفين إذا ركبوا، يقول صفي الدين الحلي[114]:

فَكَيْفَ امْرُؤٌ جَالَ في فِكْرِهِ بِأَنَّ الْمَطَالَ سَفِينُ الْحَيَاةِ
وَلَمْ يَعْتَرِفْ أَنَّ مَاءَ الْحَيَا ءِ عِنْدَ الْكِرَامِ كَمَاءِ النَّجَاةِ

كما قال الراجز[115]:

لاَ خَيْرَ فِي وَجْهٍ بِغَيْرِ مَاءِ كَفَاكَ غَيًّا قِلَّةُ الحَيَاءِ

وللكرم سيطرة على الكريم لا تسبقها إلا سيطرة الحياء على من تلبس بردائه إذ تراه يغض الطرف عن المحارم والدنايا، ولا يولي عند الزحف إذا ضاقت الواسعة من شدة الخوف، فلا يفرّ، بل يدنو من الرماح لا يأبه بأذاها، وهو في شموخه وسموه لا يشبهه إلا السيف إذا أراد منه أن يقطع، يقول أبو الشيص مادحًا[116]:

كَرِيمٌ يَغُضُّ الطَّرْفَ فَضْلُ حَيَائِهِ وَيَدْنُو وَأَطْرَافُ الرِّمَاحِ دَوَانِي

---

(113) سبط بن التعاويذي: ديوانه، ص٤٦١.

(114) صفي الدين الحلّي، ديوانه، ص٤٨٠.

(115) قبش: مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، ص١٢٩.

(116) الجبوري: عبد الله، ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، صنعة: عبد الله الجبوري، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م)، ص١١٢.

www.mtenback.com

وَكَالسَّيْفِ إِنْ لاَ يَنْتَهُ لاَنَ مَتْنُهُ وَحَدَّاهُ إِنْ خاشَنْتَهُ خَشِنَانِ

ولأن الوجه هو سيماء الإنسان وهو ما يظهر منهْ وبه يوصف مدحًا أو ذمًا فقد عبرالشعراء بكناية عن الوجه، ومثلوا به وجعلوه معلمًا من معالم البشر والبشاشة، وجعلوا بين ماء الوجه وطبيعة المروءة صلة . وربط الحياء بماء الوجه فاشٍ عند الشعراء، كما أنهم يربطون الحياء بالكرم أيضًا، أما ربطه عضويًا بماء الوجه، فلأن الحياء يضفي على وجه صاحبه سمة خاصة، ونضارة ومروءة، وإذا قلَّ الحياء نضب ماء الوجه وبدا كالحًا، وفي الغالب يكون صاحبه بعيدًا عن الشيم والعفاف والمروءات، يقول ابن عبد القدوس[١١٧]:

حَيَاءَكَ فَاحْفَظْهُ عَلَيْكَ فَإِنَّمَا يَدُلُّ عَلَى فَضْلِ الكَرِيْمِ حَيَاؤُهُ

إذا قَلَّ مَاءُ الْوَجْهِ قَلَّ حَيَاؤُهُ وَلاَ خَيْرَ فِي وَجْهٍ إِذَا قَلَّ مَاؤُهُ

وحسب المرء إذا فقد الحياء أن يصور وجهه مثل بيت لا باب له يمنعه من الانكشاف والهتك وإنما يصير هو نفسه غير مبال بما يفعل فلا يخشى عيبًا ولا يتألم لمذمة، وحسبه أنه لا يخجل من شيء يفعله ويقابل الناس بسوء المعاملة، يقول الشاعر:

مَنْ كَانَ مَفْقُودَ الحَيَاءِ فَوَجْهُهُ مِنْ غَيْرِ بَوَّابٍ لَهُ بَوَّابُ

والموت في رأي الشاعر خير من الحياة إذا لم تكن حياة يتوقى المرء المذمة فيها ويبعد عن العار، يقول الشاعر واصفًا هذا الموقف[١١٨]:

وَمَا فِي أَنْ يَعِيْشَ الْمَرْءُ خَيْرٌ إِذَا مَا الْوَجْهُ فَارَقَهُ الْحَيَاءُ

---

[١١٧] أ ــ ابن منقذ: لباب الآداب، ص٢٨٥ وهامشها:٦.

ب ــ الماوردي: أدب الدنيا والدين، ص٢١٢.

[١١٨] ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٨٥.

www.mtenback.com

والحيي في الغالب هو ذلك المتزن في تصرفاته، يسيّره عقله الراجح، فيميز بين الضار والنافع من الأمور، ففضيلة العقل لا تدانيها ولا تفضلها فضيلة، فمنها نعرف معنى الحياء، وبها نعرف قيمة الخلق الحسن كله، قال الشاعر[١١٩]:

إِذَا أَحْبَبْتَ أَقْوَامًا فَلاَصِقْ ... بِأَهْلِ الْعَقْلِ مِنْهُمْ وَالْحَيَاءِ

فَإِنَّ العَقْلَ لَيْسَ لَهُ إِذَا مَا ... تَفَاضَلَتِ الْفَضَائِلُ مِنْ كَفَاءِ

وقد روي عن المبرد قوله في هذا المعنى[١٢٠]:

وَأَفْضَلُ قَسْمِ اللهِ لِلْمَرْءِ عَقْلُهُ ... وَلَيْسَ مِنَ الخَيْرَاتِ شَيْءٌ يُقَارِبُهْ

إِذَا أَكْمَلَ الرَّحْمَنُ لِلْمَرْءِ عَقْلَهُ ... فَقَدْ كَمُلَتْ أَخْلاَقُه ومآربُه

ويظل الحياء رادعًا للمرء حتى في الظروف الصعبة، فيردع صاحبه عن فعل ما لا يليق فعله ويتحمل بحيائه عبئًا قد لا يتحمل مثله لو كان في غير لباس المروءة والكرامة. ويمر الإنسان ببعض المواقف، فتدعوه نفسه للثأر أو الانتقام، أو على الأقل الغضب وإظهار الجزع، لكنه يتذكر الحياء وإيجابياته، فيكون له من نفسه وحيائه ما يسلو به، فيرتدع عن العقوبة، ويصفح في موقف الغضب كما فعل البحتري وقد غضب من أحد المغنين فوصف مجلسًا جلسه بملحمة محزنة ولكنه كتم غضبه لحيائه، فقال[١٢١]:

هَرَاشٌ نُعَانِيهِ طُوْلَ النَّهَارِ ... فَمَجْلِسُنَا مَعَهُ مَلْحَمَهْ

يَجِيءُ بِمَا هُوَ أَهْلٌ لَهُ ... فَلَوْلاَ الْحَيَاءُ كَسَرْنَا فَمَه

وحسبك صفة للمهجوّ، فحين يفقد الإنسان شرف الحياء فكل باقي أمره نقص وذم، يقول البحتري أيضًا في هجاء أحدهم[١٢٢]:

---

[١١٩] ابن عبدربه: العقد الفريد، ج٢، ص٩٩.

[١٢٠] المصدر السابق، ج٢، ص٩٩.

[١٢١] البحتري: ديوانه، ج٤، ص٢٠٧٧.

[١٢٢] المصدر السابق، ج٢، ص١١٠٧.

www.mtenback.com

صُلْبُ الْحَمَالِيقِ لاَ يَلْـوِي بِنَـاظِرِهِ عَلَى الْحَيَاءِ وَلَوْ شُـكَّتْ بِمِسْـمَارِ

كما قال في آخر[١٢٣]:

أُنْصِلْتَ مِنْ عَـوْدِ الحيـاءِ وبَدْئِـه وَخَرَجْتَ مِنْ طُوْلِ الْوَفَاءِ وَعَرْضِـهِ

فربط بين الحياء والوفاء، وما أقبح من تجرد منهما أو تعـرى مـن لوازمهمـا وأسبابهما. فما من صفة يمدح الإنسان بها إلا أتى الحيـاء في مقدمتهـا، فـالكرم، والشجاعة، أو سواهما من الشمائل الحميدة يزينها أن تنضم إليها صفة الحياء، فتكمل مروءة الممدوح، ولو نقصت إحدى الشمائل وبقي الحياء ملازمًا لشخص الممـدوح، فإن فيه غنية خلقية تستر النقص، وترفأ ما فتقه الزمان من الخلال، يقول دعبل الخزاعي مذكرًا بصفات ممدوحه[١٢٤]:

مَاتَ الثَّلاثَـةُ لَمَّـا مَـاتَ مُطَّلِـبٌ مَاتَ الْحَيَاءُ، وَمَاتَ الرَّغْبُ، والرَّهَبُ

للهِ أَرْبَعَـةٌ قَـدْ ضَمَّهَـا كَفَـنٌ أَضْحَى يُعَزَّى بِهَا الإِسْـلاَمُ وَالْعَـرَبُ

وللمتنبي قصيدة مدح بها أبا الفضل ابن العميد وقد أثنى على كرمه وأشار إلى شدة حيائه منه لنواله المتواصل إليه وكأن هذا النوال عُوَّادٌ مرضى يترددون على الشاعر فيقول[١٢٥]:

هَلْ لِعُذْرِي لَدَى الْهُمَامِ أَبِي الْفَضْـ ـلِ قَبُـوْلٌ سَـوَادُ عَيْنِـي مِـدَادُهْ

أَنَـا مِـنْ شِـدَّةِ الْحَيَـاءِ عَلِيْـلٌ مُكْرَمَـاتُ الْمُعِلَّـةِ عُـوَّادُهْ

---

[١٢٣] البحتري، ديوانه، ج٢، ص١١٩٧.

[١٢٤] الخزاعي: دعبل بن علي: ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمع وتحقيـق: عبـد الصـاحب عمـران الدجيلي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية، (١٩٧٢م)، ص٣٢٠.

[١٢٥] المتنبي، ديوانه، ج٢، ص٥٣.

www.mtenback.com

وفي بعض قصائده يكني عن خليقة الحياء في شخصه ففي «رائيته» التي يصف فيها سيره في البوادي وما لقي في أسفاره يقول[١٢٦]:

وَنَفْسٌ لا تُجِيْبُ إِلَى خَسِيْسٍ وَعَيْنٌ لا تُدَارُ عَلَى نَظِيْرِ
وَكَفٌّ لاَ تُنَازِعُ مَنْ أَتَانِي يُنَازِعُنِي سِوَى شَرَفِي وَخَيْرِي

أي أن نفسه عالية لا تجيب إلى أمر خسيس، والخسة ضد الحياء فكنى عن حيائه بعدم إجابته إلى أمر خسيس، ولا تمدح خسيساً وهذا من الحياء، أما شيمته وخيره وهما شرفه وكرمه فذلك ما يمكن أن يقال إنه تعبير عن الحياء الذي لا يجيز لأحد منازعته فيه بأمر سيئ يناقض الشرف والكرامة.

وفي لاميته التي مدح فيها القاضي أحمد بن عبد الله الأنطاكي، التي مطلعها[١٢٧]:

لَكِ يَا مَنَازِلُ فِي القُلُوْبِ مَنَازِلُ أَقْفَرْتِ أَنْتِ وَهُنَّ مِنْكِ أَوَاهِلُ

يكني أيضًا في بعض أبياتها عن سورة الحياء فيقول[١٢٨]:

لِيَزِدْ بُنُوْ الحَسَنِ الشَّرَافُ تَوَاضُعًا هَيْهَاتَ تُكْتَمُ فِي الظَّلاَمِ مَشَاعِلُ
مُتَشَابِهِيْ وَرَعِ النُّفُوْسِ كَبِيْرُهُم وَصَغِيْرُهُمْ عَفُّ الإِزَارِ حُلاَحِلُ

فالشرف والتواضع صفات للحيي وممدوحوه مشهورون بهما وكذلك السائرون في عطائهم وكرمهم إنما هم أصحاب المروءة والحياء، وكذلك الشيم والحسب الذي أطراه إنما هو «الحياء» الذي اتصفوا به ولذلك كان كبيرهم وصغيرهم أهلاً لهذه الصفة المكنى عنها بالورع ثم عفة الإزار فهم لا يقربون الفاحشة شأن المتصفين بمزية الحياء.

---

[١٢٦] المتنبي، ديوانه، ج٢، ص١٤٣.

[١٢٧] المصدر السابق، ج٣، ص٢٤٩.

[١٢٨] المصدر السابق، ج٣، ص٢٥٨.

www.mtenback.com

وينتقل بنا حديث الحياء إلى الأمير الشاعر أبي فراس الحمداني الذي كان بطلاً في المعارك ضد أعداء إمارة ابن عمه سيف الدولة الحمداني وكان مبرزًا في شعره وللحياء وذكره مواقف، فيه وأول قصائد ديوانه التي شاع ذكرها هي المستهلة بقوله[١٢٩]:

أَرَاكَ عَصِيَّ الدَّمْعِ شِيمَتُكَ الصَّبْرُ ... أَمَا لِلْهَوى نَهْيٌ عَلَيْكَ وَلاَ أَمْرُ

بَلَى: أَنَا مُشْتَاقٌ وَعِنْدِي لَوْعَةٌ ... وَلَكِنَّ مِثْلِي لاَ يُذَاعُ لَهُ سِرُّ

وهل غير الحياء يمنع إذاعة سره، وهو الأمير الذي لا يقبل أن يذاع عنه سر حب وغزل ولا ما يدعو إلى ا لملامة أو لا يجمل بالمقام والمكانة، وما اشتهر به من الشجاعة والبطولة تأباه نفسه الحيية المليئة بروح العفة، وكبرياء الحياء إذا صح التعبير ولكن لا يمنعه ذلك أن يفضي به شعرًا يرويه للأجيال وهو يردد[١٣٠]:

إِذَا اللَّيْلُ أَضْوَانِي بَسَطْتُ يَدَ الرَّجَاءِ ... وَأَذْلَلْتُ دَمْعًا مِنْ خَلاَئِقِهِ الْكِبْرُ

تَكَادُ تُضِيءُ النَّارُ بَيْنَ جَوَانِحِي ... إِذَا هِيَ أَذْكَتْهَا الصَّبَابَةُ وَالْفِكْرُ

مُعَلِّلَتِي بِالْوَصْلِ وَالْمَوْتُ دُونَهُ ... إِذَا متُّ ظَمْآنًا فَلاَ نَزَلَ الْقَطْرُ

حَفِظْتُ، وَضَيَّعْتِ الْمَوَدَّةَ بَيْنَنَا ... وَأَحْسَنُ مِنْ بَعْضِ الْوَفَاءِ لَكِ الْغَدْرُ

وهذا التجاذب بين القيم وأضدادها لا شك أنه ينبئ عن صراع نفسي يشكل الحياء ودواعيه جانبًا كبيرًا من مؤثراته، فالهوى يجذبه في غزله عندما يأتي المساء بدواعيه المضعفة، برغم شمم البطل - والحياء من دواعيه وخلائق كبرياء نفسه - تنازعه عواطفه وهو يقوي صورة العفة والحياء في معللته بالوصل عندما يؤكد أن وصالها

---

[١٢٩] أبو فراس: الحارث بن سعيد الحمداني، شرح ديوان أبي الفراس الحمداني، من التراث العربي، بيروت، دار مكتبة الحياة، ص٩٥.

[١٣٠] أبو فراس الحمداني، ص٩.

www.mtenback.com

مستحيل لأنها تجعل الموت أقرب له من الوصال وهو لا يملك إلا أن يعاتبها ويبين حفظ ودّها في الوقت الذي ضيعت هي فيه ذلك، ولعله أدرك أن القيم الأخلاقية قد صدتها ومنعتها مما لا يجمل من دواعي المودة المنافية للحياء، فأعذرها، لأن إعذاره لها يراه خيراً من الوفاء بما لا يجمل بصاحب العفة والصون.

وقفنا عند هذه الأبيات لأبي فراس لأنها تمثل لوحة أخلاقية يدخل في أكثر ألوانها وخطوطها مظاهر وآثار قيمة الحياء الفاضلة سواء فيما يخص حياءه وهو الذي لا يليق أن يذاع له سر أو ما يخص عفة من يغازلها وحياءها وقد قرر أن ما كان يحلم به من وصال فقد تركه الموت لأنه يرى أنه أقرب من نيله له، أو هكذا يظن هو في وصلها له.

وتستشف صورة أخرى للحياء عن أبي فراس تتصل بخلقه، ومن طبيعة شيمته يكني عنها بقوله[١٣١]:

غَيْرِي يُغَيِّرُهُ الْفِعَالُ الجَافِي ... وَيَحُوْلُ عَنْ شِيَمِ الكَرِيْمِ الوَافِي

لاَ أَرْتَضِي وُدّاً إِذَا هُوَ لَمْ يَدُمْ ... عِنْدَ الْجَفَاءِ وَقِلَّةِ الإِنْصَافِ

وفيها يقول[١٣٢]:

إِنَّ الغَنِيَّ هُوَ الْغَنِّيُ بِنَفْسِهِ ... وَلَوَ انَّهُ عَارِي الْمَنَاكِبِ حَافِي

مَا كُلُّ مَا فَوْقَ البَسِيْطَةِ كَافِيًا ... فَإِذَا قَنِعْتَ فَكُلُّ شَيْءٍ كَافِي

وَتَعَافُ لي طَمَعَ الْحَرِيْصِ أُبُوَّتِي ... وَمُرُوْءَتِي وَقَنَاعَتِي وَعَفَافِي

فالقيم الفاضلة التي أطراها «غنى النفس» «عدم الطمع» «التحلي بالمروءة» و«العفاف»، كلها تنبع من روح الحياء بل إنها من لوازمه وهو من لوازمها وكلها نسيج أخلاقي واحد مترابط العرى لا ينفصم بعضها عن بعض.

---

[١٣١] أبو فراس الحمداني، ديوانه، ص١٨٠.

[١٣٢] المصدر السابق، ديوانه، ص١٨٠.

www.mtenback.com

وفي كناية أخرى للحياء في صورة الوقار يذكر التهامي هذه الصفة في موضعين من شعره يجعل فيهما الحياء عاملاً أخلاقيًا يصم الأذن عن سماع ما لا يحسن سمعه، وكأن الوقور الحيي به وقر في أذنه فيقول[١٣٣]:

أَقْفَلَ الْحِلْمُ سَمْعَهُ عَنْ قَبِيحٍ ... إِنَّ فِي كَثْرَةِ الْوَقَارِ لَوَقْرَا

ويقول غيره[١٣٤]:

كَمْ كَلاَمٍ سَيِّئٍ قَدْ وقِرَتْ ... أُذُني عنه، وَمَا بِي مِنْ صَمَمْ

وما من شك في أن الوقار (هنا يراد به الحياء) مدعاة أخلاقية للتصامم عن فاحش المسموع وغض الطرف عن فاحش المرئي.

وفي قصيدة أخرى يمدح التهامي فيها الشريف محمد بن الحسين قاضي دمشق فيقول فيها[١٣٥]:

وَيَحْلُمُ عَن ذِيْ الْجَهْلِ حَتَّى كَأَنَّهُ ... وَحَاشَاهُ مِنْ فَرْطِ الْوَقَارِ أَخُو وَقْرِ

وأخيرًا نجد الحياء صفة تليق بالمقام الذي يناسب موقف المرء ممن يتعامل معه من الناس حتى وهو يتغزل فإن ميسم الحياء يغلب عليه فيظهر ذلك في شعره.

وكثيرًا ما يقرنه الشعراء بمخافة الله، وليس ذلك بمستغرب فالحياء شعبة من الإيمان، ودليل قاطع على خوف العبد من ربه، وهذان الأمران (الحياء والخوف من الله) كثيرًا ما ردعا المرء عن أفعال لا تليق به، يقول أبو الحسن التهامي متغزلاً[١٣٦]:

---

[١٣٣] التهامي، ديوانه، ص٢٩٥.

[١٣٤] الزمخشري، جار الله أبو القاسم، محمود بن عمر: أساس البلاغة، دار بيروت للطباعة والنشر، بيروت، (١٤٠٤هـ/١٩٨٤م) ص٦٨٥، (وقر).

[١٣٥] التهامي، ديوانه، ص٣٧٦.

[١٣٦] المصدر السابق، ص٥٤١.

www.mtenback.com

يَنْضَاعُ مِنْهُنَّ الْعَبِيْرُ كَأَنَّمَا يَحْمِلْنَ فَأْرَ الْمِسْكِ فِي الأَرْدَانِ
وَبَسَمْنَ عَنْ بَرَدٍ هَمَمْتُ بِرَشْفِهِ لَوْلاَ الحَيَاءُ وَخَشْيَةُ الرَّحْمَنِ

ثم أنعم بالحياء مانعًا للنفوس من مذلة السؤال حتى مع الحاجة، فالإنسان السوي وإن كان قويًا فهو أمام الحق ضعيف، أو كان شرسًا في الحروب، لكنه عند السؤال جبان، وما ذلك إلا من فرط الحياء، يقول الشريف المرتضى في تصوير هذه الخصال، وبيان تأثير الحياء على صاحبه[١٣٧]:

يَضْعُفُ الْمَرْءُ مِنْهُمُ فِي يَدِ الحَقْ قِ وَإِنْ كَانَ فِي اللِّقَاءِ قَوِيا
وَتَرَاهُ الْوِقَاحَ فِي حَوْمَةِ الْحَرْ بِ وَفِيْ حَوْمَةِ السُّؤَالِ حَيِيّا

وقد أكثر الشعراء من صور الحياء في السلم، ونفض الحياء عند الحروب، وهي صور تدل على أن لا رحمة ولا شفقة في الحروب، فعند وصف شجاعة الممدوح، وقطفه رؤوس الأعداء، أو أطرافهم وتساقطها في الحروب لم ينس الشاعر أن وجهه وإن تجهم في الحروب، فإنه يقطر حياء في أيام السلم، فيقول[١٣٨]:

وَوُجُوْهًا بِلاَ حَيَاءٍ لَدَى الْحَرْ بِ وَيَقْطُرْنَ يَوْمَ سَلْمٍ حَيَاءَ

إنه لا حياء في قول الحق وموقف الحق، كذلك لا حياء في الحرب إذا تلاقت السيوف واشتبك الأبطال.

ولبعض الناس نظرات ذات تأثير خاص، ينعكس على وجه الطرف الآخر إجلالاً لتلك الشخصية، وحياء منها، وتقديرًا لها، حتى إن الظلماء لتبدل ضياء بوضاءة

---

[١٣٧] الشريف المرتضى: علي بن الحسين، ديوان الشريف المرتضى، حققه: رشيد الصفار المحامي، راجعه: د. مصطفى جواد، قدم له، محمد رضا الشبيبي، مصر، مطبعة عيسى البابي الحلبي وشركاه، (١٩٥٨م)، ج٣، ص٣٧٥.

[١٣٨] الشريف المرتضى، ديوانه، ج١، ص١٦-١٧.

www.mtenback.com

فكرها، والجماد يكاد يستحي من نظراتها وهي وإن كانت صفات مبالغًا فيهـا إلا أن روح الحياء تتقمص تلك الشخصية المؤثرة في مثل هذه المواقف، يقول علي بن إسحاق البغدادي[١٣٩]:

اللَّيْلُ مِـنْ فِكْـرِي يَصِـيْرُ ضِيَـاءً وَالسَّيْفُ مِنْ نَظَرِي يَـذُوبُ حَيَـاءَ

و المواقف تلبس صاحبها غير ردائه، وقد تدعوه إلى الجهل بعد الحلـم، ونبـذ الصبر، ومعاداة الناصحين، وخلع الحياء، والانقطاع عن الناس بالرغم من حبه لهـم، واحترامه لمواقفهم الإنسانية، ففي حال الفجيعة بموت عزيز أو فقد صديق، تجد العـاقل الأريب يتأثر بالموقف وربما خرج عن طبعه النقي، وغلب جهلهُ حلمه، وسبق غضبـهُ صبرَه، وهي وإن كانت صورة غير حسنة، لأنها تعكس عجز صاحبها عن الصبر فـلا يجد إلا رفض التجلد كما قال الشريف المرتضى عندما مرَّ بموقف فُقد فيه أحد سـراة قومه وأشرافهم، فقال في رثائه[١٤٠]:

عَلَى مِثْلِـهِ تَـذْرِي الْعُيُـونُ دِمَـاء فَـلاَ يَحْتَشِـمْ بَـاكٍ عَلَيْـهِ بُكَـاء
وَلاَ تَمْنَعِ الأَجْفَـانَ سَـحًّا فَكُلَّمَـا هَرَقْنَ الَّـذِي فِيهِـنَّ عُـدْنَ مِـلاَء
وَإِنْ كُنْتَ طَوْعًا لِلْحَيَاءِ فَـلاَ تُطِـعْ بِجِدِّكَ فِـي هَـذَا الْمُصَـابِ حَيَـاء
وَنَادِ نَصِيحًـا: لاَ أُحِـبُّ نَصِيحَـةً وَقُـلْ لِمُعَـزٍّ: لاَ أُرِيـدُ عَـزَاءَ

لقد بلغ منه الجزع مبلغًا أفقده صوابه وجرده من حيائه، فرفض النصائح، ومنع المعزين من مشاركته مصيبته، ولكنه عاد مرة أخرى ليكون معزيًـا فأحسـن العـزاء لصديقه، ونصحه وذكّره بأن مصير كل حي هو الفناء، وضرب له أمثلة من عظمـاء

---

[١٣٩] الثعالبي: أبو منصور، عبدالله بن محمد، يتيمة الدهر في محاسن أهالي العصر شرح وتحقيق: د. مفيـد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (١٤٠٣هـ/١٩٨٤م)، ص٢٩١.

[١٤٠] الشريف المرتضى، ديوانه، ج١، ص١٥.

www.mtenback.com

الزمان قد واراهم التراب، بعد أن كان منهم أسود شرى، ووجوه كرم، وذوو سؤدد ومكانة، وأن الموت قد حل بهم فصاروا إلى فناء فيقول مذكرًا صديقه[١٤١]:

مَا نَحْنُ إلاَّ لِلْفَنَاء ... وَإِنْ طَمِعْنَا فِي البَقَاءِ

أَيْنَ الَّذِيْنَ سَقَتْهُمُ الأَيَّا ... مُ كَاسَاتِ الرَّخَاءِ

السَّائِرُونَ وَحَوْلَهُمْ ... أُسْدُ الشَّرَى تَحْتَ اللِّوَاءِ

وَالْهَاجِمُونَ عَلَى الرَّدَى ... والْيَوْمُ يَجْرِي بِالدِّمَاءِ

مِنْ كُلِّ مَمْلُوْءِ الأَسِرَّة ... رَةِ والجَبِيْنِ مِنَ الْحَيَاءِ

تَجْرِي يَدَاهُ بِكُلِّ مَا ... يَهْوَى المُؤَمِّلُ مِن سَخَاءِ

إن السخاء والشجاعة وكل صفة إيجابية للناس يكون الحياء جزءًا منها.

وكما أن الحياء هو كالماء في الوجه، وله سيما معروفة عند الناس، فإن انكسار النظر دليل على الحياء، وإنَّ الرجل يمتدح بذلك كما تمتدح النساء بمرض الأجفان، يقول الشريف الرضي في وصف ممدوحه[١٤٢]:

وَمِطْرَاقٌ على اللَّحَظَاتِ صِلٌّ ... مَرِيْضُ النَّاظِرَيْنِ من الحَيَاءِ

ولا يكون الحياء جبنًا أو خنوعًا، فذلك حياءٌ لا يقبله العربي وإنما يكون الحياء عندما تكتمل صورة الرجل الشجاع الذي يعرف بواطن الأمور ويقف منها موقف الحزم حتى يكون سيد الموقف وباحثًا عمّا يؤثر تأثيرًا حسنًا فيمن يقتدي به أو يقلده من الناس. ذلك هو ما يريده الذين يبنون مكارم الأخلاق، وقد نجد في موروثنا العربي الفكري الكثير من هذه الصفات المحمودة التي تعين الإنسان على مصائب الدهر ويأوي

---

[١٤١] الشريف المرتضى، ديوانه، ج١، ص٢٠-٢١.

[١٤٢] المصدر السابق، ج١، ص١٤.

www.mtenback.com

إليها عندما يضطره القدر فيجدها خير معين، والحياء منها، وهذه الأبيات تشهد على حسن اختيار الموقف[١٤٣]:

أَبْكِيْكِ لَوْ نَقَعَ الغَلِيْلُ بُكَائِي ... وَأَقُولُ لَوْ ذَهَبَ الْمَقَالُ بِدَائِي

وَأَعُوذُ بِالصَّبْرِ الْجَمِيْلِ تَعَزِّيًا ... لَوْ كَانَ بِالصَّبْرِ الْجَمِيْلِ عَزَائِي

طَوْرًا تُكَاثِرُنِي الدُّمُوعُ وَتَارَةً ... آوِيْ إِلَى أَكْرُومَتِي وَحَيَائِي

كَمْ عَبْرَةٍ مُوَّهْتُهَا بِأَنَامِلِيْ ... وَسَتَرْتُهَا مُتَجَمِّلاً بِرِدَائِي

أقسى ما يواجه المرء الكريم ألا يجد مسعفًا غير أن يجهش بالبكاء وما أكثر هذه المواقف التي يمر بها من هذه حاله، وهي رقة في القلب تعبر عنها العين وتكون في غير ضعف، وإنما حين لا يجد الإنسان إلا أن يسفح الدمع أمام موقف يعجز فيه عن التجلد والتصبر فيغلبه الدمع، ويفسد عليه تجمله الذي أراد أن يظهر به مظهر الشديد القوي .

وأحسن ما تكون الوجوه مشرقة عندما يجتمع في القوم الصبر على المكاره وأشدها مكارهة الحرب والتحلي بالحياء الذي يظهر في أشد اللحظات إيلامًا للنفس حين تواجه الخيارات الصعبة بينه وبين ضده[١٤٤]:

فِي فِتْيَةٍ رَكِبُوا الْعُلا مِنْ هَاشِمٍ ... يَرْمُونَ أَقْطَارَ الْعِدُوِّ كَمَا رُمُوْا

يَجْرِيْ الْحَيَاءُ الْغَضُّ فِي قَسَمَاتِهِمْ ... فِي حِيْنِ يَجْرِيْ فِي أَكُفِّهِمُ الدَّمُ

وكما يطّرح الفرسان الحياء عند النزال، كذلك يُطّرح رداء الحياء عند إقامة العدل، فإذا نصب ميزان العدالة، اقتضى الأمر مجافاة العواطف، لا سيما إذا أخلت بالعدل، فكان الأولى اطراح الحياء في هذا الموقف، فلا تأخذ الإنسان في الحق لومة لائم، ولن يسلبه ذلك حشمته وندى وجهه، يقول ابن حيوس في مدح أحدهم[١٤٥]:

---

[١٤٣] الشريف الرضي، ج١، ص٢٦.

[١٤٤] المصدر السابق، ج٢، ص٣٤٣.

[١٤٥] ابن حيوس، ديوانه، ج٢، ص٦٢٧.

www.mtenback.com

وَمَنْ أَحَقُّ بِمُلْكِ الْأَرْضِ مِن مَلِكٍ ... بِسَيْفِهِ انْكَشَفَتْ عن أَهْلِهَا الغُمَمُ؟!
عَدْلُ القَضِيَّةِ يَمْضِي وَهْوَ مُطَّرِحٌ ... ثَوْبَ الْحَيَاءِ، وَيَنْدَى وَهْوَ مُحْتَشِمُ

إن الحياة كلها لا تساوي شيئًا إذا عدمت الحياء، والموت خير من حياة فقدت عنصر المروءة وفضيلة الحياء، يقول أبو العلاء المعري(١٤٦):

تَعَالَى رَازِقُ الأَحْيَاءِ طُرًّا ... لَقَدْ وَهَتِ الْمُرُوءَةُ وَالْحَيَاءُ
وَإِنَّ الْمَوْتَ رَاحَةُ هَبْرَزِيٍ ... أَضَرَّ بِلُبِّهِ دَاءٌ عَيَاءُ

والحياء كما يرى أبو العلاء أحد أركان قضية مصيرية، ألا وهي قضية الانتماء إلى الدين، فبعض الناس يتشدق بالدين وهو بعيد عنه، ويدعي العفاف والطهر وهو منهما براء، فإذا لاحت له فرصة من نظر إلى كاعب تراه يتقطع هوى وشهوة، فلا يمنعه عفاف، ولا يرده عن الهوى حياءٌ، وإنما المحك الصحيح لتدينه صبره وحياؤه، وخلق يردعه عن اختلاس النظر إلى الكاعب المحتجبة التي أعجزه الفقر عن بلوغ مثلها، يقول المعري(١٤٧):

هَلِ الدِّينُ إِلاَّ كَاعِبٌ دُوْنَ وَصْلِهَا ... حِجَابٌ، وَمَهْرٌ مُعْوِزٌ، وَحَيَاءُ

ويكفي أن يتصف المرء بالحياء فيحبه الناس، فما بالك إذا جمع مع الحياء خصال المروءة الأخرى؟! مثل صاحب ابن حيدرة العقيلي الذي جمع له هذه الخلال(١٤٨):

لَنَا أَخٌ كُلُّ فَخْرٍ ... مُسْتَجْمِعٌ فِي إِخَائِهِ

---

(١٤٦) المعري: أحمد بن عبد الله، اللزوميات، تحقيق أمين عبد العزيز الخانجي، بيروت، مكتب الهلال، بيروت، مكتبة الخانجي، القاهرة، مصورة طبعة مطبعة التوفيق الأدبية بمصر، (١٣٤٢هـ)، ص٤١.

(١٤٧) المعري، ديوانه، ص٣٦.

(١٤٨) الشريف العقيلي: علي بن الحسين بن حيدرة، ديوان الشريف العقيلي، تحقيق: د. زكي المحاسني، مصر، دار إحياء الكتب العربية، ص٢٥.

www.mtenback.com

مُسْتَوْحِشَـــاتُ الْمَعَـــالِي مُسْتَأْنِسَـــاتٌ لِرَائِـــهِ
لَـــوْ لَـــمْ يُحَـــبَّ لِشَـــيءٍ أَحْبَبْتَـــهُ لِحَيَائِـــهِ

ويستغل الشعراء تلون وجه الحبيبة خجلاً واستحياء، فتراهم يشبهون حمرة الوجنات بالشقائق، أو الورد الزاهي الذي يتساقط ورقه حياءً من أعين الناظرين، بل إن الحياء ليصبح في وجهها نارًا يطفئها ماء الوجه المتولد من الحياء نفسه، يقول ابن منقذ في وصف حبيبته[١٤٩]:

يَـا لاَئِمِـي، انْظُـرْ إِلى قَمَـرٍ فِـي الأَرْضِ فِـي وَجَنَاتِـهِ شَـفَقُ
وَبِخَـدِّهِ وَرْدٌ إِذَا نَظَـرَتْ عَيْنِـي إِلَيْـهِ تَنَـاثَرَ الْـوَرَقُ
سُـبْحَانَ مَـنْ أَذْكَـى بِوَجْنَتِـهِ نَـارَ الْحَيَـاءِ وَلَيْـسَ يَحْـتَرِقُ

ويفعل الحياء بالوجه الجميل أفاعيله، فما إن ترى الخدين كالسوسن نضارة وبهاءً إذا بالحياء يحيل بياضهما الناصع إلى حمرة كلون الورد، وجماله، ويحوِّله من لون باهت إلى لون جميل لمحب النظر إليه والاستمتاع فيه. يقول صفي الدين الحلي[١٥٠]:

تُلاَحِـظُ سَوْسَـنَ الْخَدَّيْـنِ مِنْـهُ فَيُبْدِلُهَـا الْحَيَـاءُ بِوَرْدَتَيْـنِ

ويقول[١٥١]:

عَبَـثَ النَّسِـيْمُ بِقَـدِّهِ فَتَـأَوَّدَا وَسَـرَى الْحَيَـاءُ بِخَـدِّهِ فَتَـوَرَّدَا

ويصور ابن الوردي تأثير الحياء على الوجه الجميل في احمرار الخدود عند تعرضها لنظرة عابرة، يقول[١٥٢]:

---

[١٤٩] ابن منقذ: ديوانه، ص٣٢.

[١٥٠] صفي الدين الحلي، ديوانه، ص٣٣٢.

[١٥١] المصدر السابق، ص٣٦٥.

[١٥٢] العصامي، عبد الملك بن حسين المكي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مصر، المطبعة السلفية، ومكتبتها، ج٤، ص٣٢٨.

www.mtenback.com

وَتَحْمَـرُّ خَدَّاهَـا إِذَا مَـا نَظَرْتَهَـا حَيَاءً أَبَى أَنْ تَجْرَحَ الْـوَرْدَ بِـالْوَرْدِ

وكما أن الحياء يصدّ بعض الشداة عن مطالبهم وحاجاتهم، فلربما صدَّ الشـعر وصرف بحوره وقوافيه، لأنه يراها لا تأتي بما يستحقه الممدوح من نظم حسن أو أفكار بديعة، يصور هذا الاستحياء إبراهيم بن سهل شاعر الأندلس فيقول[١٥٣]:

لاَ تَلُمْ فِي الْحَيَاءِ هَـذِي الْقَوَافِـي لَيْسَ بِدْعًـا أَنْ تَخْجَـلَ الأَفْكَـارُ

وليس عيبًا أن يخجل ذو المروءة من إطالة المكث عند المنعمين عليه، المتفضلين بالبذل، بل ليس عيبًا أن يحتجب الرجل حتى مع حاجته عن الذهاب إلى الباذلين الذين يعرفون حاجته دون تصريح بها، فيبذلونها له مع الحفاظ على ماء وجهه من أن يراق، فليس عيبًا إذن ألا يروه دائمًا في حضرتهم، لأن إحسانهم يحبس لسانه، وإنعامهم أطال باعه، وأخره الحياء عن القدوم إليهم، وشكرهم على ما صنعوا له من كرم فضل غمروه به، يقول صفي الدين الحلي[١٥٤]:

جَـزَاكَ اللهُ عَـنْ حُسْـنَاكَ خَـيْرًا وَكَـانَ لَـكَ الْمُهَيْمِـنُ خَـيْرَ دَاعِ

فَقَدْ قَصَّـرْتَ بِالإِحْسَـانِ لَفْظِـي كَمَـا طَوَّلْـتَ بِالإِنْعَـامِ بَـاعِي

فَـأَخَّرَنِي الْحَيَـاءُ وَلَيْـسَ يَـدْرِي جَمِيْعُ النَّاسِ مَـا سَـبَبُ امْتِنَـاعِي

فالعطاء يخجل الشاعر، والحياء يبعده ويؤخره عن الحضور إلى دار المتفضل، وهو شعور نبيل يعكسه الحياء على أهله، يقول الشاعر[١٥٥]:

يَا بَاذِلاً مِنْ كُنُوزِ الْمَالِ مَـا ذُخِـرَا وَقَابِضًا مِنْ صُيُودِ الشُّكْرِ مَا سَـنَحَا

---

[١٥٣] ابن سهل، إبراهيم الأندلسي الإشبيلي: ديوان ابن سهل الأندلسي، ضبط وفهرسة وتقديم: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى، (١٤١٩هـ/١٩٩٨م)، ص٥.

[١٥٤] صفي الدين الحلي: ديوانه، ص١٩٥.

[١٥٥] المصدر السابق، ص١٤٩.

www.mtenback.com

وَمُلْبِسَ النِّعَمِ اللاَّتِي يُبَاعِدُنِي عَنْهَا الْحَيَاءُ فَلا أَنْفَكُّ مُنْتَزِحا

وقوة الحياء تعمل عملها في المحبين، فربما سنحت فرصة للقاء حبيب، وتهيأت الظروف لبلوغ المنى في لقاء قد لا يجود الزمان بمثله، لكن الحياء يقف دون تلك الأمنية صادًا للصادين عن هتك الأستار، والاستجابة للغرائز، يقول الطغرائي في ذلك[١٥٦]:

وَلَيْلَةِ وَصْلٍ قَدْ قَدِرْتُ فَصَدَّنِي حَيَائِيَ، إِذْ إِنَّ الحَيَاءَ رَقِيْبُ

وترى المادحين يجمعون صفات الثناء، ويطرون ممدوحيهم بها ومن بينها صفة الحياء، فكأنما الحياء مركز هذه الأخلاق الذي عليه تقوم، وبدونه لا تستقيم، يقول محمد بن أحمد بن سهل في مدح أحد شيوخه[١٥٧]:

شَمَائِلُهُ الإِحْسَانُ وَالْجُوْدُ وَالْوَفَا وَأَخْلاَقُهُ القُرْآنُ فِي كُلِّ مُجْتَلِي

تَرَدَّى الْحَيَا وَالْعِلْمَ وَالْحِلْمَ وَالتُّقَى عَلَى عَاتِقٍ مِنْ رِقِّ سِرِّ الهَوَى خَلِي

أما الأخضر اللهبي فإنه يصف قومه وقد ارتدوا لباس الحياء، وظهروا وكأن بهم سقمًا وما بهم من سقم إلا أن ما ظهر عليهم هو وقار الحياء وسمته فقال[١٥٨]:

إِنَّا أُنَاسٌ مِنْ سَجِيَّتِهِمْ صِدْقُ الحَدِيْثِ وَرَأْيُهُمْ حَتْمُ

لَبِسُوا الْحَيَاءَ فَإِنْ نَظَرتَ حَسِبْتَهُمْ سَقِمُوا، وَلَمْ يَمْسَسْهُمُ سُقْمُ

إِنِّي وَجَدْتُ العُدْمَ أَكْبَرَهُ عُدْمَ العُقُولِ وَذَلِكَ الْعُدْمُ

وَالْمَرْءُ أَكْثَرُ عَيْبِهِ ضَرَرًا خَطَلُ اللِّسَانِ وَصَمْتُهُ حِكَمُ

---

[١٥٦] الطغرائي، الحسين بن علي: ديوانه، ص٧٩.

[١٥٧] السقاف: عبد الله بن محمد بن حامد العلوي، تاريخ الشعراء المخضرمين، الطائف، مكتبة المعارف، ج١، ص٩٢.

[١٥٨] اللهبي: الفضل بن العباس، شعر الأخضر اللهبي، جمع وتحقيق: د. محمود عبد الله أبو الخير، الأردن، دار الفرقان، الطبعة الأولى، (١٤١٣هـ/١٩٩٣م)، ص٧٣.

www.mtenback.com

وفي العصر الحديث تراهم يكنّون عن الحياء بماء الوجه، وعن قلة الحياء بضده، وإنما يتصبّبُ الوجه عرقًا إذا كان صاحبه شديد الحياء، في موقف لاجتلاب الحياء فيه مكان، وليس الحياء دليل ضعف، بل هو من سمات الرجولة والمروءة، ومن لا حياء عنده إنما يشبه بما سفل من الطير أو الحيوان، يقول ابن الوردي مصورًا أحد المواقف له مع شيخه وقد أحرجه بالحضور إليه[١٥٩]:

عَرِقْتُ حَيَاءً مِنْ حُضُوْرِكَ ذَاهِلاً ... بِفَضْلِكَ عَنْ حُسْنِ الْمَبَاحِثِ وَالنَّقْدِ

وَلَكِنَّ تَوْقِي مِنْكَ بِالصَّفْحِ حَثَّنِي ... على بَعْضِ بَحْثٍ بِالتَّكَلُّفِ وَالْجَهْدِ

كما أنهم يصورون الطبيعة وهي تستحي من الإنسان، وتخجل أن تباريه فيما حباه الله من النعم، فالغصن الغض اللّدن يخجل من تثني الجميل، ذي القدّ الرفيع، والخصر النحيل، فيغضي من الحياء إن نظرت إليه بلواحظها المؤثرة البتارة، يقول محمد الآنسي المغربي متغزلاً[١٦٠]:

فَكَمْ تَخْجَلُ الأَغْصَانُ مِنْهَا إِذَا انْثَنَتْ ... وَتُغْضِي حَيَاءً مِنْ لَوَاحِظِهَا الْبُتْرِ

الحياء في شعر النساء:

عندما نخص بهذا الفصل شعر النساء وما فيه من ذكر للحياء وقيمته الأخلاقية فلأن عاطفة المرأة أكثر توضيحًا لهذا الخلق بحكم أن طبيعتها أكثر تأثرًا به سواء في أقوالها أو أفعالها وسائر سلوكها، كما أن الحياء هو السمة الغريزية التي تكون أكثر التصاقًا وملازمة لمظهر المرأة ومخبرها، ولذا كانت أكثر تبيانًا لها وأكثر جمالاً فيها من الرجل. والبرهان على تميز المرأة عن الرجل بهذه الصفة يعد من نافلة القول، لأننا نحن بني البشر ندرك سر هذه الغريزة فينا على تباين نوع الجنس البشري وأثرها فيه ذكرانًا

---

[١٥٩] ابن الوردي، عمر بن المظفر المعري، ديوان ابن الوردي، حققه: د. أحمد فوزي الهيب، الكويت، دار القلم، ص٣٧٧.

[١٦٠] العصامي، سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، ج٤، ص٤٦٠.

www.mtenback.com

وإناثًا، وأنها حقيقة فطرية غنية عن الدليل لأنها في عمق الغريزة والإدراك والشعور تميزًا وتباينًا، مع علمنا بأن في تراثنا الديني والأدبي الدليل المؤكد للحياء في المرأة بتصوير أكثر مما هو في الرجل، من ذلك الإشادة بحياء رسول الله ﷺ وشدته، إذ ورد في الحديث أنه ﷺ كان: «أشد حياءً من العذراء في خدرها»، فإذا كان الحياء من خلق المرأة، إلا أنه في العذراء أظهر وأشد.

ولما كان الحياء أكثر التصاقًا بالمرأة بل يكاد يكون خلقها كله الحياء، رأينا أن لفظ «الحياء» قليلاً ما صرحت به في كلامها من شعر أو نثر، فبحكم لزومه بها واتحاده بشخصيتها، نجدها وهي بصدد التعبير عنه تكتفي بذكر متعلقاته إمّا عن طريق الإزاحة التي تعني طرد الصفات المناقضة من أجل إثبات الصفة المحمودة المطلوبة، وإما بذكر الأمور المتصلة بالحياء نفسه حيث تكون هي دليل عليه. فهذه هند بنت النعمان ابن المنذر تثني على ما لقيته من كرم سعد بن أبي وقاص وحيائه بعد أن شكت إليه ما لقيته وأهلها من الذلة بعد العزة، ومن فقر بعد غنى، فأكرمها سعد وصان ذمتها، فكان هذا موقف من مواقف تأثير الحياء حين وصفت سعدًا فقالت[١٦١]:

صَانَ لِي ذِمَّتِي وَأَكْرَمَ وَجْهِي ... إِنَّمَا يُكْرِمُ الْكَرِيمَ الْكَرِيمُ

وأما «قرفة» زوج حذيفة بن بدر الفزاري، فقد دعت على زوجها بألا يسلم من المكروه، ولا يوقّى شرور نوائب الدهر، لأنه خدش وجه الحياء بقبوله الدية في ابنه الذي قتل، فعيرته بذلك قائلة[١٦٢]:

حُذَيْفَةَ لاَ سَلِمْتَ مِنَ الأَعَادِي ... وَلاَ وُقِّيْتَ شَرَّ النَّائِبَاتِ

أَمَا تَخْشَى إِذَا قَالَ الأَعَادِي ... حُذَيْفَةُ قَلْبُهُ قَلْبُ الْبَنَاتِ؟!

---

[١٦١] يموت: بشير: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٣٥.

[١٦٢] المصدر السابق، ص٦٢.

www.mtenback.com

فكأنها تقول له أما تستحي، لكنها ضمنت معنى الحياء في شعرها وجعلت قلبه كقلب البنت وخشيته كخشيتها، ومعلوم أن من معاني الحياء الخشية من اللوم على فعل ما يخجل وما لا يجمل وكأنها رأت قبوله الدية أمرًا مخجلاً.

والحياء يأتي في صورة صارمة تتخذها حسينة بنت جابر العجلي[١٦٣]. فقد أغار بنو عكل على قومها بني عجل ودارت بينهما معركة هُزِم فيها قومها ووقعت حسينة سبية في قبضة العكليين مع نساء أخريات وكانت من نصيب عمرو بن الحارث العكلي ثم جاء زوجها ووالده إلى عمرو ليفادياها فخيَّرها عمرو فاختارت البقاء مغاضبة لزوجها الذي تركها يوم الغارة وفرّ مع قومه دون حمايتها معيّرة له على ذلك بأبيات منها[١٦٤]:

وَتَلُوْمُنِـــيْ أَلاَّ أَكِـــرَّ إِلَيْكُـــمُ هَيْهَـــاتَ ذَلِـــكَ مِنْكُـــمُ لاَ أَفْعَـــلُ

إِنِّي وَجَدْتُكُـــمُ تَكُـــونُ نِسَـــاؤُكُمْ يَـــوْمَ اللِّقَـــاءِ لِمَـــنْ أَتَـــاكُمْ أَوَّلُ

وجاء أخوها أبجر بن جابر بعد ما ردَّت زوجها وأباه فلامها على اختيارها على قومها فرضيت بالرجوع معه، ففداها بمائة من الإبل وخمسة أفراس وسار معها عمرو ابن الحارث العكلي حتى جوزها أرض بني تميم وقال في ذلك قصيدة منها[١٦٥]:

وَخَيَّرْنَـــا حُسَـــيْنَةَ إِذْ أَتَاهَـــا سَـــوَادَةُ ضَارِعًـــا مَعَـــهُ الفِـــدَاءُ

فَقَـــالَتْ: إِنْ رَجَعْـــتُ إِلَـــى لُجَيْـــمٍ مُخَـــايَرَةً فَقَـــدْ ذَهَـــبَ الحَيَـــاءُ

فاتخذت حسينة الحياء صفة خلقية ترفض معها العودة إلى زوجها لموقفه السلبي من حمايتها يوم الغارة، حين مكن عدوها من سبيها، وهي إن عـادت إلى زوجها ستكون موضع مذمة القوم لأنها عادت إلى رجل لم يحم محارمه.

---

[١٦٣] جرير: ديوانه، ص٦٣-٦٤.

[١٦٤] المصدر السابق، ص٦٣-٦٤.

[١٦٥] المصدر السابق، ص٦٣-٦٤.

www.mtenback.com

وتدرك الشاعرة زينب بنت مالك القيسية أنها تعرضت من بعض اللائمين للطعن في عصبيتها النزارية العدنانية بخدش حيائها عندما رثت يزيد بن المدان القحطاني أحد عظماء اليمن وكان قد منَّ عليها فيما سلف من الأيام بفك أخويها من الإسار، فاحتفظت له بهذه المكرمة ومدحته فلامها من لامها وردت على لائميها قائلة[١٦٦]:

أَلاَ أَيُّهَا الزَّارِي عَلَيَّ بِأَنَّنِي نِزَارِيَّةٌ أَبْكِي كَرِيْمًا يَمَانِيَا

وَمَالِيَ لاَ أَبْكِي يَزِيْدَ وَرَدَّنِي أَجُرُّ جَدِيْدًا مِدْرَعِي وَرِدَائِيَا

ففي خلق الحياء يُعرف الفضل لأهله دون تأثير عصبية أو عنصرية وقد أكرم القحطاني حياءها وألبسها لباس المعروف فحفظته له وردت عليه جميله شعرًا خلد ذكره.

وقد يظهر الحياء من ليس الحياء من طبعه فتكشفه التجارب ويظهر ما يخفي للناس، ولا يغتر به أحد منهم، وهناك فرق بين من طبعه الحياء ومن يحاول أن يتحلى بصفة ليست من صفاته، ولا تقوى عليها نفسه حتى وإن ظهر بمظهرها فشيمته غيرها على حد معنى هذا البيت[١٦٧]:

وَلَيْسَ حَيَاءُ الْوَجْهِ فِي الذِّئْبِ شِيْمَةً وَلَكِنَّهُ مِنْ شِيْمَةِ الأَسَدِ الْوَرْدِ

هذه الصورة نراها واضحة عند بعض الناس، تراه يظهر الوجه الحييّ، الوادع العفيف التقي، حتى إذا غاب عن الرقباء عاد إلى طبيعته الغادرة وتكشف ذلك الحياء عن مخاتل غادر وكأنما هو ذئب أملس .

ونظرًا لضعف طبيعة المرأة، فإن حياءها قد يهتز عندما تعصف بها العواصف، أو تنزل بها النوائب، وكم من مخدرة شقت جيبها وشدت شعرها غير آبهة بمن حولها من الرجال الجنب، وذلك عندما تفقد قريبًا أو عزيزًا، فالمصيبة من الأسباب القوية

---

[١٦٦] يموت: بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٧١.

[١٦٧] المصدر السابق، ص١١٣-١١٤.

www.mtenback.com

لظهور المرأة على غير عادتها من الاحتشام والستر، انظر إلى الخرنق وهي تصف البواكي وهنّ يندبن قتلى يوم «قُلاب» من رجالهن، وقد تمكنت المصيبة من قلوبهن فأفقدتهن صوابهن واتزانهن، بل كشفت عن مخبأ مكنون كان الحياء يستره، تقول الخرنق بنت بدر في ذلك المشهد[١٦٨]:

وَبِيْضٍ قَدْ قَدِمْنَ وَكُلُّ كُحْلٍ ... بِأَعْيُنِهِنَّ أَصْبَحَ لاَ يَلِيْقُ

أَضَاعَ قُدُورَهُنَّ مُصَابُ بِشْرٍ ... وَطَعَّنَةُ فَاتِكٍ فَمَتَى تُفِيْقُ

فالمصاب بعث الدموع سواكب حتى إن الكحل لم يستقر في أعينهن، وكأنهن بذلك فقدن السيطرة على مظهرهن المحتشم، فأضاعت المصيبة ذلك الوقار، والحياء، فبرزن وكأنهن لا يعرفن الحياء.

والمرأة بفطرتها حيية، جبلت على الحياء وهي تنجذب إليه، و تراه في الرجل فتمجده به، وهذه أروى بنت عبد المطلب، وقد طلب منها أبوها أن تسمعه رثاءها فيه وهو حيّ، فما برزت أمامها من الخصال التي يمجد بها مثله خصلة قبل الحياء فقالت[١٦٩]:

بَكَتْ عَيْنِي وَحُقَّ لَهَا بُكَاهَا ... عَلَى سَمْحٍ سَجِيَّتُهُ الْحَيَاءُ

عَلَى سَهْلِ الْخَلِيْقَةِ أَبْطَحِيٍّ ... كَرِيْمِ الْخِيْمِ شِيْمَتُهُ الْوَفَاءُ

ولطيفة الحمدانية كانت من الشاعرات في الإسلام ولهت بحب زوجها وابن عمها وتحول هذا الوله إلى حياء منه يلازمها في سلوكها بعد موته كما كان في حياته، وقد رؤيت واقفة عند قبره وكأنها تمثال وعليها من الحلي والحلل شيء كثير وهي تبكي.. فقيل لها: يا هذه نراك حزينة؟ وما عليك زي الحزن؟

---

[١٦٨] يموت: بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص١١٧، ١١٩، ١٢٠، ١٢٥.

[١٦٩] المصدر السابق، ص١٧٩.

www.mtenback.com

فبرّرت ظهورها بزينتها بأنها تحب أن تكون ماثلة أمام قبره على الشكل الذي تعرف أنه كان يعجبه في حياته، فهو وإن يكن موارى في الثرى، إلا أنها تستحي منه كما لو كان حيًا، وتهابه مهابة إجلال حتى وهو في أحضان التراب، ولا تحب أن يظهر منها على ما يكره فيما لو كان يراها.

ومن أجل ذلك فقد احتشدت لزيارته بكامل زينتها، وتمام حليها وحللها، حتى إن من يراها لا يظن أن قلبها يتمزق حرقة على ذلك الزوج الذي واراه التراب وهي لا تعبأ بمن حولها من الأحياء، ولا سيما أولئك الذين يلومونها على ما يظهر منها من زينة، ومرآها من عدم الحزن. إنه لعجب أن يخطر ببالها هذا الخاطر وإنه لموقف صعب حين تتزين له وكأنه يراها وتتهيأ للقائه وكأنه سيسعد بها ثم تقف على قبره بزينتها باكية نائحة نادبة[١٧٠]:

فَإِنْ تَسْأَلاَني فِيمَ حُزْنِي فَإِنَّنِي ... رَهِينَةُ هَذَا القَبْرِ يَا فَتَيَانِ

وَإِنْ تَسْأَلاَني عَنْ هَوَايَ فَإِنَّهُ ... مُقِيْمٌ بِحَوْضِي أَيُّهَا الرَّجُلاَنِ

وَإِنِّي لأَسْتَحْيِيْهِ والتُّرْبُ بَيْنَنَا ... كَمَا كُنْتُ أَسْتَحْيِيْهِ حِيْنَ يَرَانِي

أَهَابُكَ إِجْلاَلاً وَإِنْ كُنْتَ فِي الثَّرَى ... وَأَكْرَهُ حَقًّا أَنْ يَسُوءَ مَكَانِي

وقالت مرة[١٧١]:

قَدْ زُرْتُ قَبْرَكَ فِي حَلْيٍ وَفِي حُلَلٍ ... كَأَنَّنِي لَسْتُ مِنْ أَهْلِ المُصِيْبَاتِ

لَمَّا عَلِمْتُكَ تَهْوَى أَنْ تَرَانِي فِي ... حَلْيٍ وَتَهْوَاهُ مِنْ تَرْجِيعِ أَصْوَاتِي

أَرَدْتُ آتِيْكَ فِيمَا كُنْتُ أَعْرِفُهُ ... أَنْ قَدْ تُسَرُّ بِهِ مِنْ بَعْضِ هَيْئَاتِي

---

[١٧٠] يموت: بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٢٤٢-٢٤٣.

[١٧١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

فَمَنْ رَآنِي رَأَى عَبْرَى مُوَلَّهَةً عَجِيْبَةَ الزِّيِّ تَبْكِي بَيْنَ أَمْوَاتِ

وكم كان للحياء فضل في كبح جماح العاطفة عند النساء، ولا شيء غير الحياء أقدر على إثناء الرغبة الجامحة عندهن، وإعادتها إلى الطريق القويم، وإظهارها في ستر الحياء اللائق بها، صادَّة عن عواطفها، متظاهرة بالهجران والقلى، في حين يتمزق القلب ولهًا ويعتلج حبًا، ولا يدرك تلك المشاعر إلا الحذاق من الرجال، الماهرون بمعرفة مواقع سهامهم من صيدهم، وهذه إحدى الشاعرات تجعل الحياء عاملاً أخلاقيًا، يثنيها عن الوصال، فتهجر لا عن بغض، ولكن لأجل الحياء فهي تظهر الصدود مع استبقاء المودة، فتقول[١٧٢]:

مَا كَانَ ذَاكَ الْهَجْرُ مِنِّيَ عَنْ قِلَى لاَ وَالَّذِي رَفَعَ السَّمَا وَبَنَاهَا

إِنِّيْ لَيَثْنِينِي الحَيَاءُ وَأَنْثَنِي وَأَصُدُّ بَعْضَ مَوَدَّتِي اسْتِبْقَاهَا

وَإِذَا الْمُنَاضِلُ لَمْ يَكُنْ مُتَثَبِّتًا يَبْقَى مَوَاقِعُ نَبْلِهِ أَفْنَاهَا

الحياء في شعر الحكمة والأمثال:

عندما نسوق الكلام عن المعنى السامي لخلق الحياء وأثره الفاضل ومكانته الأخلاقية السلوكية، فيما اكتنزه بديع شعر الحكمة وبليغ نصوص الأمثال، فإننا نشعر بانسياب الحديث في عذوبة فكرية بالغة ومتعة أدبية فائقة، وذلك لا يوحيه جمال الحياء، وسحر بيان الحكمة، وقوة بلاغة المثل[١٧٣]، ولكن يصوره الحال ويشهد عليه الواقع .

---

[١٧٢] يموت: بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٢٣٣-٢٣٤.

[١٧٣] في الحديث: «إن من الشعر حكمة» انظر: البخاري، موسوعة السنة، ٣، صحيح البخاري، ج٧، ص١٠٥، أبو داود: موسوعة السنة ١١، سنن أبي داود، ج٥، ص٢٧٨-٢٧٩، وفيه يقول أبو داود: «وأما قوله: إن من الشعر لحكمة فهي هذه المواعظ والأمثال التي يعظ بها الناس».

www.mtenback.com

ويحسن أن نقدم بعض القول عن تعريف الحكمة والمثل وبيان ماهيتهما مع عرض للنماذج المختارة من شعر الحكمة ونصوص الأمثال التي يدور في فلكها تمجيد الحياء، ويضيء فيها التوجيه الأخلاقي إلى قيمته والتمسك بفضيلته.

فالحكمة والمثل تجمعهما خصائص مشتركة بينهما، وهي: أنها من جوامع كلم العرب البليغ في معناه، الموجز في مبناه، المعبر عن قاعدة سلوكية حكيمة هي خلاصة تجربة أو تجارب من الحياة، تتسم بالإقناع في مدلول حكمها وما توصي أو تنصح به.

ولأهمية أثر الكلمة وجمالها، نجد أن رسول الله ﷺ يقول: «الكلمة الحكمة ضالة المؤمن، حيثما وجدها فهو أحق بها»[١٧٤].

وكذلك المثل الذي يلتصق في معناه ومبناه بقالب الحكمة وجوهرها فهو جدير أن يتجه إليه هذا البحث لاستجلاء ما فيه من مضامين عن الحياء. كيف لا والمثل: «قصارى فصاحة العرب العرباء، وجوامع كلمها، ونوادر حكمها، وبيضة منطقها، وزبدة حوارها، وبلاغتها التي أعربت بها عن القرائح السليمة[١٧٥].

وإن من أجمل شعر القدماء مما تضمن ذكر الحياء مشبعًا بروح الإسلام وفيه مسحة من الحكمة ما أنشده أبو الأسود الدؤلي، حيث قال[١٧٦]:

وَإِنِّي لَتَثْنِينِي عَنِ الْجَهْلِ وَالْخَنَا ... وَعَنْ شَتْمِ ذِي الْقُرْبَى خَلَائِقُ أَرْبَعُ

حَيَاءٌ، وَإِسْلَامٌ وَتُقْيَا وَأَنَّنِي ... كَرِيمٌ وَمِثْلِي قَدْ يَضُرُّ وَيَنْفَعُ

---

[١٧٤] الترمذي، موسوعة السنة، ١٤، سنن الترمذي، ج٥، ص٥١.

[١٧٥] الزمخشري: جار الله، محمود بن عمر، المستقصى في أمثال العرب، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية، (١٣٩٧هـ/١٩٧٧م)، ج ، ص ، من مقدمة المؤلفة.

[١٧٦] الدؤلي، أبو الأسود، ظالم بن عمرو، ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، (١٩٧٤م)، ص٩١.

www.mtenback.com

فالحياء رادع له عن ارتكاب حماقات الجهال التي يأتي من بينهـــا شـــتم ذوي القربى، فضلاً عما يوصي به الإسلام من حفظ اللسان وعدم السباب، واقتناء الحيـــاء، والبعد عن كل ما يقرب إلى الخنا والفجور.

والمحروم من الحياء مناط كل قبيح، ووقاحة شاملة، فاضح للأســـرار، ملبـــس بالدناءة والغرور، ومفهومه للفضائل معكوس، فالمذمة عنده مدح، والدناءة رفعة، نـــافر السمع من العظة.

والحياء جبين يندى من فعل القبائح، ووجه يرق للنصائح وبغض كثـــير للـــذل والمهانة. كما أن الحياء رفيق الحلم، والوقار والعلم، ولذا فالمرء إذا كان حَيِيًّـــا فإنـــه بالرجاء والأمل قمين، لأن حياءه يقوده إلى كل خير، أما إذا حرم الحياء فإنه بكل قحة جدير، وهذه الحكم تنفحها روح الإسلام، يقول العرجي[١٧٧]:

إِذَا حُـرِمَ الْمَـرْءُ الْحَيَـاءَ فَإِنَّـهُ ... بِكُـلِّ قَبِيـحٍ كَـانَ مِنْـهُ جَدِيْـرُ

لَهُ قِحَةٌ مِـن كُـلِّ شَـيْءٍ وَسِـرُّهُ ... مُبَـاحٌ وَخِدْنَـاهُ خَنًـا وَغُـرُوْرُ

يَرَى الشَّتْمَ مَدْحًا، وَالدَّنَـاءَةَ رِفْعَـةً ... وَلِلسَّمْعِ مِنْهُ فِـي العِظَـاتِ نُفُـورُ

وَوَجْهُ الْحَيَاءِ مُلْبِـسٌ جِلْـدَ رِقَّـةٍ ... بَغِيْـضٌ إِلَيْـهِ مَـا يُشِـيْنُ كَثِـيْرُ

لَـهُ رَغْبَـةٌ فِـي أَمْـرِهِ وَتَجَـرُّدٌ ... حَلِيْمٌ لَدَى جَهْلِ الْجَهُـولِ وَقُـوْرُ

فَرَجٌ الفَتَـى مَـا دَامَ يَحْيَـا فَإِنَّـهُ ... إِلَى خَيْرِ حَـالاَتِ المُنِيـبِ يَصِـيْرُ

ويأتي الشاعر بشار بن برد على ذكر الحياء في معرض الحكمة والتمثل، فالحياء عنده هو خير الحياة كلها، وبذهابه لا خير في البقاء، ويستطرد فينصح باستبقاء الحيـــاء لاستبقاء خير الحياة، وأن الإنسان ما التزم بهذه الفضيلة إلا ساد وأرضى الله والنـــاس،

---

[١٧٧] ابن منقذ، أسامة، لباب الآداب، بيروت، دار الكتاب العلمية، (١٤٠٠هـ/١٩٨٠م)، ص٢٨٧.

www.mtenback.com

ويقرر في حكمة بالغة أن العاقبة للتقوى، ومن لم يع ذلك فهو جاهل بالعواقب، فيقول[١٧٨]:

وَأُعْرِضُ عَنْ مَطَاعِمَ قَدْ أَرَاهَا ... فَأَتْرُكُهَا وَفِي بَطْنِي انْطِوَاءُ
فَلاَ وَأَبِيكَ مَا فِي العَيْشِ خَيْرٌ ... وَلاَ الدُّنْيَا إِذَا ذَهَبَ الْحَيَاءُ
يَعِيْشُ الْمَرْءُ مَا اسْتَحْيَا بِخَيْرٍ ... وَيَبْقَى العُودُ مَا بَقِيَ اللِّحَاءُ
إِذَا لَمْ تَخْشَ عَاقِبَةَ اللَّيَالِي ... وَلَمْ تَسْتَحِ فَاصْنَعْ مَا تَشَاءُ

وتناول الشاعر بشار بن برد أيضًا ذكر الحياء في وصف نفسه في صورة حكيمة حيث يصرف قلبه عما يتعلق به من الأشياء التي يرى في ملامستها سوء المقالة، وشماتة الأعادي وهو ينصرف عن ذلك عفافًا منه وحياءً فيقول[١٧٩]:

وَلَقَدْ أَصْرِفُ الْفُؤَادَ عَنِ الشَّيْ ... ءِ حَيَاءً وَحُبُّهُ فِي السَّوَادِ
أُمْسِكُ النَّفْسَ بِالْعَفَافِ وَأُمْسِي ... ذَاكِرًا فِي غَدٍ حَدِيْثَ الأَعَادِي

وبهذه المعاني الواضحة للحياء وأثره الخلقي والنفسي كأنما يعرِّف بشار قيمة الحياء تعريفًا واضحًا، وهذا النوع من الحياء وإن كان بشار في وصفه لنفسه صادقًا أو غير ذلك فهو من كمال المروءة وحب الثناء كما يقول الماوردي[١٨٠].

ولئن تكررت الصور المطروقة في الحياء، فإنها تكاد تبدو عند كل شاعر بمظهر مميّز عنها عند غيره، وتوظيف الحكمة في مجال الحياء يبدع فيه من يبدع، ويجدد فيه من يجدد، فالشعر بيان، وإن من البيان لسحرًا، وإذا كانت الأغراض الشعرية تحمل في

---

[١٧٨] ابن برد، بشار: ديوانه، ج٤، ص١٢.

[١٧٩] المصدر السابق، ج٢، ص١٢٩.

[١٨٠] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢١٤.

www.mtenback.com

طياتها ثقافة الشعراء وحسن بيانهم، فإنها أيضًا تكشف عن بعض أسرارهم لاسيما إذا وجدنا بعضهم يدير القصيدة على غرض واحد، كما فعل علي بن الجهم، حين جعل الحياء محورًا لقصيدته التي ذهب في أسلوبها مذهب الحكمة، فقال فيها[١٨١]:

إِذَا رُزِقَ الفَتَى وَجْهًا وَقَاحًا ... تَقَلَّبَ فِي الأُمُورِ كَمَا يَشَاءُ

وَلَمْ يَكُ لِلدَّوَاءِ وَلاَ لِشَيْءٍ ... يُعَالِجُهُ بِهِ عَنْهُ غَنَاءُ

وَرُبَّ قَبِيْحَةٍ مَا حَالَ بَيْنِي ... وَبَيْنِ رُكُوبِهَا إِلاَّ الْحَيَاءُ

وَكَانَ هُوَ الَّذِي أَلْهَى وَلَكِنْ ... إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ فَلاَ دَوَاءُ

فالشاعر يقرر أن الحياء هو الحائل الأخلاقي له من القبائح، التي قد ينزع إليها بدافع من الرغائب والشهوات، ويكون دواؤه الشافي في الحياء. ونخرج من هذا كله بالحقيقة الأخلاقية «إِذَا ذَهَبَ الحَيَاءُ فَلاَ دَوَاءُ».

ولأبي الهلال العسكري أبيات في العتاب عرج فيها على الحياء فوصف من يعاتبه بتعريه منه، مشيرًا إلى أن الحياء لباس يستر العورات، ويجمل صاحبه وهو قرين الوقار[١٨٢]:

إِلَى كَمْ تَسْتَمِرُّ عَلَى الجَفَاءِ ... وَلاَ تَرْعَى حُقُوقَ الأَصْدِقَاءِ

أَلاَ إِنِّي لأَعْرِفُ كُلَّ شَيْءٍ ... سِوَى خُلُقِ الرِّعَايَةِ والْوَفَاءِ

عَرِيْتَ مِنَ الوَفَاءِ وَلَيْسَ بِدْعًا ... لأَنَّكَ قَدْ عَرِيْتَ مِنَ الْحَيَاءِ

---

[١٨١] علي بن الجهم، ديوانه، ص١٠٣. وقد ورد البيتان الأولان من الأبيات السابقة منسوبين إلى علي بن محمد البسامي، وبعدهما بيت ثالث يقول:

فما لك في معاتبة الذي لا ... حياء لوجهه إلا العناء

[١٨٢] العسكري: الحسن بن عبد الله، شعر أبي هلال العسكري، جمع وتحقيق ودراسة: د. محسن عياض، بيروت، منشورات عويدات، الطبعة الأولى، (١٩٧٥م)، ص٥٨.

www.mtenback.com

وهذه القوة في اللوم والعتاب تجعله يقرر الحكمة القائلة: «مَنْ عَرِيَ مِنَ الْحَيَاءِ عَرِيَ مِنَ الوَفَاءِ».

لأن الحياء خلق عامل وفاعل وموجه إلى السلوك السوي ومكارم الأخلاق.

ويطول الحديث لو عرضنا ذكر الحياء في القرآن وماجاء فيه . كما أن هناك قصصًا كثيرة وأخبارًا شتى تتعلق بالشيم العربية وكيف يكون الحياء سبيلها سنعرض على سبيل المثال لذكر شيء منها:

فقد قالوا إن الحياء يقود المرء إلى عمل الفضيلة المحمودة ويبعده عن الرذيلة لأنه يستحي من فعل مالا يرضاه الناس فيريح ضميره بحيائه.

ومنها أن هناك من يمنعه حياؤه من أخذ كل حق له من الآخرين.

ومنها الامتناع حتى من حماية ماله ممن يريد أخذه أو استغفاله.

ومما يروى في ذلك أن معاوية جلس مجلسًا للضيافة والتكريم وتوزيع الجوائز والصلات فوضعت الموائد ورصّت بدر الدراهم، فأمّ مجلسه فيمن أمّه أحد الناس فقعد على كيس فيه دنانير والناس يأكلون، فصاح به أحد الخدم ليتنحى عن موضع جلوسه، فسمعه معاوية وقال: دعوا الرجل يقعد حيث أحب، ثم أخذ الرجل الكيس وقام و لم يجسر أحد أن يكلمه بشيء.

وبعد ذلك أعلم الخدم معاوية بنقصان كيس من أكياس الدنانير. فقال: أنا صاحبه وهو محسوب عليّ لكم[١٨٣].

هذا المثال ينبيء عن مبلغ الحياء حتى من كبار الخلفاء وأهل الشأن الذين يستحون ويجعلون الحياء خلقًا من أخلاق التعامل الحسنة. وأحسن من استحياء معاوية في القصة السابقة ما فعله جعفر بن سليمان بن علي، فقد سرق رجلٌ درّة رائعة ثمينة من بين يديه واختفى وبعد أيام طلبها جعفر فلم يجدها. فوصف لأصحاب الجواهر ما

[١٨٣] البيهقي: إبراهيم بن محمد، المحاسن والمساوئ، بيروت، دار بيروت، ص٤٧٤.

www.mtenback.com

فقد كي يقبضوا على من توجد بحوزته، فلما عرضها الرجل في بغداد للبيع أحسوا به فحمل إلى جعفر. فلما بصر به استحيا جعفر منه، وقال: ألم تكن طلبت هذه الدرة مني فوهبتها لك؟ قال الرجل: نعم! قال جعفر: لا تعرضوا له. فباعها الرجل بألوف الدنانير[١٨٤].

استحياء الكبير من الصغير:

ومما يذكر في هذا المقام ما رواه الرواة عن بهرام جوم أحد السلاطين الساسانيين، فقد خرج للصيد فوجد راعيًا تحت شجرة. وكان بهرام حاقنًا، فقال للراعي: احفظ عليّ عنان فرسي حتى أريق الماء . فقبض الراعي عنان الفرس، وكان ملبسًا ذهبًا، فوجد الراعي غفلة بهرام، فقطع أطراف اللجام بسكين، وصادف أثناء ذلك أن رفع بهرام رأسه فنظر إلى الراعي وهو يقطع اللجام المذهب فصرف نظره استحياءً من أن يحرج الرجل وهو في فعلته. وأطال البقاء ليأخذ الراعي حاجته من اللجام، وكان الراعي فرحًا بهذه الإبطاءة، ولما عرف بهرام أن الراعي أخذ حاجته من اللجام الذهبي، تظاهر أن شيئًا سقط في عينه فأغمضها وحركها ليوهم الراعي أنه غير قادر على تفقد حلية اللجام، فقرّب له الراعي الفرس وركبه بهرام ولما هم بالذهاب سأله الراعي عن كيفية إمكان وصوله إلى مكان كذا وكذا موهمًا بهرام أنه محل منزله. وأنها أول مرة يصل هذا المكان الذي وجده به وأنه لن يعود إليه. فضحك بهرام وفطن لما أراد الراعي وقال له: أنا رجل مسافر. وأنا أحق بألا أعود إلى هاهنا أبدًا. ثم مضى فلما نزل عن فرسه قال لصاحب مراكبه. إن معاليق اللجام وهبتها لسائل مر بي فلا تتهم أحدًا[١٨٥].

---

[١٨٤] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٤٧٤.

[١٨٥] المصدر السابق، ص٤٧٣.

www.mtenback.com

ومن الحياء ما فعله كسرى أنوشروان في إحدى المناسبات حيث جاء الخدم بالشراب في آنية من الفضة والذهب، فشرب أواسط الحاضرين في آنية الفضة. وسراتهم في آنية الذهب. فلما انصرف الناس ورفعت الموائد أخذ أحد الخدم جام ذهب وأخفاه في قبائه وأنوشروان يلحظه فصرف وجهه عنه إغضاءً واستحياءً. فافتقد صاحب الشراب الجام. ونادى: لا يخرجن أحد حتى يفتش. فبادره كسرى بألا يعرضن لأحد بالتفتيش. فقال له: إنا فقدنا أحد آنية الذهب. فقال له كسرى: صدقت، لقد أخذها من لا يردها، ورآها من لا يخبرك بها[١٨٦].

هذه الصورة للاستحياء عدها البيهقي من محاسن الإغضاء وإن كانت معدودة في مواقف الاختلاس أو السرقة، ولكن لابستها مواقف قد يدعو عامل الحياء والإغضاء إلى غض النظر فيها لمواقف شديدة الحرج سيقفها الفاعلون أمام أولئك العظماء لو كشفوا أمرهم فاختاروا ألا يجرحوا حياء الإنسان وإن كان خائنًا.

تدعي التخلي عن العفة والحياء لترد زوجها الغائب:

كانت هند الحمدانية زوجة لرجل من همدان اسمه عثمان فبعث فيمن بعث من جند المسلمين لفتح أذربيجان ثم عاد الجند إلى أهليهم، ولم يرجع عثمان بعد أن صار له مال اشترى به جارية سماها حبابة وفرسًا سماها وردًا والتهى بالجارية والفرس عن زوجته الحمدانية وأهله، ودون أن يدرك أثر عامل الغيرة في الزوجة، وجانب الحكمة التي من لوازمها اقتناء بعض الحياء والفطنة فعمد إلى إرسال كتاب إلى زوجته، أخبرها بما استفاد من المال وأنه اشترى جارية وفرسًا ينعم معهما بالعيش في الغربة.

فلما تلقت زوجته هذا الخبر الذي أثار مكامن غيرتها، وأبعد جميل صبرها، وكانت ملازمة لواجبات العفة والصون والحياء في حق زوجها رأت أن تكيده وتستثير

---

[١٨٦] البيهقي، المحاسن والمساوئ، ص٤٧٣-٤٧٤.

www.mtenback.com

غيظه ومأمول غيرته فكتبت له ردًا عنيفًا لعله يتذكر أو تتلبسه الغيرة فيعود إليها وادعت في جوابها أنها قد غنيت بغيره مثلما غني هو بغيرها، وقالت: إن هؤلاء الشباب أخَّرهم أمير المؤمنين عن الغزو ليخلفوك، وأخيرًا أثارته بما طلبت منه تسريحها بالطلاق وهي غير آسفة عليه ولا داعية له بالخير والرشاد بل بأن يزيده الله غربة وبعدًا وسبكت موضوع الرسالة في قصيدة قالت فيها:

لَعَمْرِي لئِنْ شَطَّت بِعُثْمَانَ دَارُهُ ... وَأَضْحَى غَنِيًا بِالْحَبَابَةِ وَالْوَرْدِ

أَلاَ فَاقْرِهِ مِنِّي السَّلامَ وَقُلْ لَهُ ... غَنِينَا بِفِتْيَانٍ غَطَارِفَةٍ مُرْدِ

إِذَا شَاءَ مِنْهُمْ نَاشِئٌ مَدَّ كَفَّهُ ... إِلَى كَفَلٍ رَيَّانَ أَوْ كَثَبٍ نَهْدِ

بِحَمْدِ أَمِيرِ الْمُؤمِنِينَ أَقَرَّهُمْ ... شَبَابًا – وَأَغْزَاكُمْ – خَوَالِفَ فِي الْجُنْدِ

فَمَا كُنْتُمُ تَقضُونَ حَاجَةَ أَهْلِكُمْ ... قَرِيبًا فَيَقْضُوهَا عَلَى النَّأْيِ وَالْبُعْدِ

فَأَرْسِلْ إِلَيْنَا بِالسَّرَاحِ فَإِنَّهُ ... مُنَانَا، وَلاَ نَدْعُو لَكَ اللهَ بِالرُّشْدِ

إِذَا رَجَعَ الْجُنْدُ الَّذِي أَنْتَ مِنْهُمُ ... فَزَادَكَ رَبُّ النَّاسِ بُعْدًا عَلَى بُعْدِ

فلما أن بلغته الرسالة أو القصيدة هب راجعًا إليها مسرعًا في العودة، وما إن وصل وولج الدار عليها حتى وجدها معتكفة على السجود والصلاة. فقال: يا هند، أفعلت ما قلت فأجابته قائلة: الله أجل في عيني، وأعظم من أن أركب مأثمًا، ولكن كيف وجدت طعم الغيرة؟ فإنك غظتني فغظتك[١٨٧].

ومن الحياء المحمود قصة امرأة وقف عليها رجل تجرد من خصال الحياء والتقوى فراودها عن نفسها، فقالت له: هبك ليس لك مانع من أدب؟ أما لك زاجر من الحياء؟! فقال لها: لن يرانا إلا الكواكب فقالت: وأين مكوكبها؟ فقال لها: ألك بعل قالت: قد كان، ولكن دعي إلى ما خلق له ثم قالت:

---

[١٨٧] يموت: بشير، شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٢٣٢-٢٣٣.

www.mtenback.com

إِنِّي وَإِنْ عَرَضَتْ أَشْيَاءُ تُضْحِكُنِـــي ... مَوْجَعَةُ الْقَلْبِ مَطْوِيٌّ عَلَى الْحَـــزَنِ
إِذَا دَجَـا اللَّيْـلُ أَحْيَـالِي تَذَكُّـرُهُ ... وَزَادَنِي الصُّبْحُ أَشْجَانًا عَلَى شَـجَنِي
وَكَيْفَ تَرْقُدُ عَيْـنٌ صَـارَ مُؤْنِسُـهَا ... بَيْنَ التُّرَابِ وَبَيْـنَ الْقَـبْرِ وَالْكَفَـنِ
أَبْلَى الثَّرى وَتُـرَابُ الْأَرْضِ جِدَّتَـهُ ... كَـأَنَّ صُورَتَـهُ الحَسْـنَاءَ لَم تَكُـنِ
أَبْكِيْ عَلَيْـهِ حَنِينًـا حِيْـنَ أَذْكُـرُهُ ... حَنِينَ وَالِهَـةٍ حَنَّـتْ إِلَـى وَطَـنِ
أَبْكِيْ عَلَى مَنْ حَنَتْ ظَهْرِيْ مُصِيْبَتُـهُ ... وَطَيَّرَ النَّوْمَ عَـنْ عَيْنِـيْ وَأَرَّقَنِـيْ
وَاللهِ لا أَنْسَى حُبِّيَ الدَّهْرَ مَا سَـجَعَتْ ... حَمَامَةٌ أَوْ بَكَى طَـيْرٌ عَلَـى فَنَـنِ

فقال لها: هل لك في زوج؟ فأطرقت ملياً ثم قالت[188]:

كنا كغُصْنَـيْنِ في أَصْـلٍ غِذاؤُهُمَـا ... مَاءُ الجَدَاوِلِ في رَوْضَـاتِ جَنَّـاتِ
فَاجْتَثَّ خَبْرَهُما من جنْـبِ صاحِبِـهِ ... دَهْـرٌ يَكُـرُّ بفَرْحَـاتٍ وتَرْحَـاتِ
وكَانَ عَـاهَدَني إنْ خَـانَنِي زَمَنِـي ... أن لا يُضَاجِعَ أُنْثَـى بَعْـدَ مَثْواتِـي
وكُنْـتُ عَاهَدْتُـه أيضًـا فَعَاجَلَـهُ ... رَيْبُ المَنُـونِ قَرِيْبًـا مُـذْ سِـنِيَّاتِ
فاصْرِفْ عِنَانَكَ عَمَّنْ لَيْسَ يَرْدَعُهَـا ... عَنِ الوَفَاءِ خِـلَابٌ فِـي التَّحِيَّـاتِ

أما في مجال الأمثال: فقد جاء عن العرب في الحياء على وزن صيغة التفضيل «أفعل» عدة أمثال من ذلك قولهم: «أَحْيَا مِنْ بِكْر»[189] ويضرب لمن كان شديد الحياء لأن البكر أكثر النساء حياءً وبذلك أجاز الشارع صمت البكر تعبيرًا عن رضاها عند تزويجها لتحرجها خجلاً وحياءً من الكلام بالقبول، فضلاً عن أن النساء بحكم طبيعتهن وفطرتهن أكثر حياءً من الرجال.

---

[188] يموت: شاعرات العرب في الجاهلية والإسلام، ص٣١٣-٣١٤.

[189] الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٩٠.

www.mtenback.com

ومثله قولهم: «أَحْيَا مِنْ فَتَاةٍ»[١٩٠].

و«أَحْيَا مِنْ كَعَابٍ»[١٩١] والكعاب الفتاة التي يبدو ثدياها للنهود[١٩٢]. وهي أيضًا من أشد النساء حياءً لكونها بكرًا وكونها فتاة وكونها صغيرة وكونها امرأة. فكان الحياء لمثلها ألزم وهي له أقنى. ومن أمثلتهم في الحياء قولهم «أَحْيَا مِنْ مُخَبَّأَةٍ»[١٩٣] وهي الفتاة التي تعمد إلى عدم الخروج من خدرها وخبائها إلا لضرورة لشدة حيائها[١٩٤]، وطبيعة أنوثتها. ونسب الزمخشري للأعشى قوله[١٩٥]:

وَلأَنْتَ أَحْيَا مِنْ مُخَبَّأَةٍ ... عَذْرَاءَ تَقْطُنُ جَانِبَ الْكَسْرِ

وقالت الخنساء[١٩٦]:

وَأَحْيَا مِنْ مُخَبَّأَةٍ حَيَاءً ... وَأَجْرَأُ مِنْ أَبِي شِبْلٍ هِزَبْرِ

ومنه قولهم: «أَحْيَا مِنْ مُخَدَّرَةٍ»، والمخدرة الفتاة التي تلازم الخدر وهو ستر يواريها في ناحية من البيت[١٩٧]. ولهذا تكون بطبيعتها وحالتها في السكن أكثر حياء.

ومنه أيضًا قولهم: «أَحْيَا مِنْ هَدْيٍ»وهي العروس المهدية إلى زوجها[١٩٨].

ومجموع هذه الأمثال يؤكد أيضًا ما للحياء من جمال الأخلاق، وما لأثره من مسحة جمالية على الحيي أيضًا.

---

(١٩٠) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٩١.

(١٩١) المصدر السابق نفسه.

(١٩٢) ابن منظور، لسان العرب، (نهد)

(١٩٣) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٩١.

(١٩٤) ابن منظور، لسان العرب،

(١٩٥) الزمخشري، المستقصى في أمثال العرب، ج١، ص٩١.

(١٩٦) المصدر السابق نفسه.

(١٩٧) المصدر السابق نفسه.

(١٩٨) المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وقد أورد «الميداني» من أمثال المولدين قولهم: «الحَيَاءُ يمنعُ الرِّزْقَ»[١٩٩]، ولعل أحسن تفسير لجانب الحياء الذي يمنع الرزق، هو الحياء المتحول إلى ما يشبه التحرج والامتناع من ممارسة بعض المهن الحقيرة، أو لعل المقصود: الحياء المتحول إلى التعاظم والكبر، وإلا فإن الحياء كله خيرٌ.

كما أورد من أمثالهم: «حياء الرجل في غير موضعه ضعف» وهو لا يبعد عن المعنى الأول أي أن للحياء مواضع يحسن فيها ويصلح نفعه ومواقف أخرى لا يجب أن يصرف الحياءُ الإنسان عما يصلح له .

أثر الحياء في الحياة الاجتماعية:

لما كان الحياء هو الخلق الحسن الذي يدعو صاحبه إلى الحسن من الفعل أو القول ويحثه على اجتناب كل قبيح، فإن التحلي به من أهم أسباب الفلاح، ومن أجل وسائل السعادة والصلاح في الدين والدنيا، وما انفكت هذه الخليقة الفاضلة مبدأً سلوكيًا ساميًا، وقاعدة أخلاقية في تربية الإنسانية وتوجيهها إلى مكارم الأخلاق منذ بدء الحياة البشرية، وكذلك كان الحياء خلق الإسلام[٢٠٠]، ومنطلق القيم التربوية للأفراد والجماعات، التي تحفظ للفرد حياته وتصون عرضه، وتحافظ على احترام ممتلكاته، وتقيم العلاقات بين الأفراد والجماعات على مبادئ الاحترام المتبادل، والوفاء بالعهود والعقود والتعاون فيما بينهم على كل ما فيه الخير في مصالحهم العامة والخاصة والحفاظ على حسن الجوار، وشيوع الأمن ونصب موازين العدالة، وصدق النية، وإخلاص العمل في جميع المعاملات، واجتناب كل ما يمس كرامة الإنسان وحريته

---

[١٩٩] الميداني: أحمد بن محمد النيسابوري، مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر، مطبعة السنة المحمدية، ج١، ص٢٣٠.

[٢٠٠] ابن ماجة، موسوعة السنة ١٨، سنن ابن ماجة، ج٢، ص١٣٩٩، وفيه: «إن لكل دين خلقًا، وخلق الإسلام الحياء».

www.mtenback.com

الفردية، وغير ذلك الكثير من مكارم السلوك والأخلاق التي تقتضيها عوامل الأمن النفسي المختلفة في الحياة الإنسانية.

ولهذا سعدت بالخير كل الأقوام المؤمنة بالقيم الفاضلة والمثل العليا والتي على رأسها الحياء، تلك القيم والمثل التي جاءت بها الأديان وأرسل الله بها الرسل وأنزل الكتب في جميع أدوار التاريخ البشري ومع سعادتها في حياتها بالتزامها بهذه الفضائل والآداب وعدت بسعادة الآخرة والنعيم المقيم فيها[٢٠١]، وسلمت في الدنيا مما أصاب غيرهم من الأقوام الذين تجنبوا طريق الفلاح وأدبروا عن أسباب النجاة والنجاح وتجردوا من الحياء الذي هو عنوان صفات الفضيلة، واتبعوا مزالق الرذيلة، وأدى بهم ذلك إلى نزول العقاب الشديد بهم، والعذاب الأليم وما تزال ديارهم الخاوية، ورسوم أطلالهم البالية شاهدة على ذلك، وذلك ما قصه الخبر الصادق في القرآن الكريم عن مثل ما أصاب قوم نوح عليه السلام من الطوفان عقابًا على إصرارهم على الكفر، واستكبارهم العتيد، وسخريتهم واستهزائهم بنبيهم وبدعوته ومن آمن معه. وما الاستكبار والسخرية والاستهزاء إلاَّ السلوك العملي للخروج عن الحياء من الله تعالى.

لذلك لا يمكن تجرد الحياة الاجتماعية من الحياء المانع من ممارسة الرذيلة والمخازي وكل فعل قبيح يضر بالإنسان في دينه وبدنه وعقله ومروءته. فالحياء في الحياة الاجتماعية لأهل الإيمان داعٍ لكل فضيلة وصفة حميدة تقوي الصلة بخالق الإنسان وتحفظ للبشرية سلامة الأبدان والعقول والمروءات وذلك كله يعد جماع أثر الحياء في الحياة الاجتماعية السوية.

وإن من أجمل ما حملته كتب التراث في الحديث عن الحياء وما له من المنزلة والتأثير في الحياة الاجتماعية ما روي عن عائشة رضي الله عنها حيث قالت: «مكارم الأخلاق عشرة: صدق الحديث، وصدق اللسان، وأداء الأمانة، وصلة الرحم، والمكافأة

---

[٢٠١] جاء في الحديث «الحياء من الإيمان، والإيمان في الجنة، والبذاء من الجفاء، والجفاء في النار» انظر: الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢١١-٢١٢.

www.mtenback.com

بالصنيع، وبذل المعروف، وحفظ الذمام للجار، وحفظ الذمام للصاحب، وقرى الضيف، ورأسهن الحياء»[٢٠٢]. وفي قول آخر: «رأس مكارم الأخلاق الحياء»[٢٠٣].

هذه العشر الخلال الفاضلة تبين ما للحياء من أثر عظيم في سلامة الحياة الاجتماعية وأمنها، وشيوع أسباب المودة والمحبة بين أفرادها، وقيام هذه الحياة في المجتمعات المبنية على الصدق في القول والعمل، ورعاية الأمانة وعلى الإيثار والكرم والتكافل الاجتماعي، والتضامن المعيشي، وبذل الأغنياء للفقراء وعطف الأقوياء على الضعفاء، وشيوع احترام حقوق الجوار وحسن معاملة الأهل والأولاد ومراعاة حقوق الإنسان أفرادًا وجماعات، وشيوع العدالة والمساواة، وحسن التعامل مع القريب والبعيد والوفاء بالعهود والعقود والمواثيق، كل ذلك في ظل ما يقتضيه الخلق العظيم، خلق الحياء الذي هو رأس كل فضيلة ومسلك مجيد حميد، ولنا في رسول الله ﷺ خير قدوة، فلقد كان «شديد الحياء». وصفه ربه سبحانه بقوله: ﴿وَإِنَّكَ لَعَلَىٰ خُلُقٍ عَظِيمٍ﴾[٢٠٤] ولأمته من هذا الوصف البديع نصيب ما سارت على سنته واتبعت هديه وترسمت خطاه في أساليب تعاملها وتربية حياتها الاجتماعية التي يقف الحياء على رأس الفضائل المنظمة لها. إن الحياء نقطة ارتكاز لكل محاور الخير والفضيلة التي تربى الأفراد والمجتمعات على كل فضيلة، ومن هنا يكون الحياء وأثره التربوي دعوة حضارية اجتماعية ترقى بحياة الأفراد وتسمو بتنظيم سلوك المجتمعات وتلزم باحترام وإعمال عوامل الخير والفضيلة بين بني البشر في كل زمان ومكان.

---

[٢٠٢] الأبشيهي: شهاب الدين محمد، المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت، مؤسسة عز الدين، الطبعة الأولى، (١٤١١هـ/١٩٩١م)، ص٢٢٠.

[٢٠٣] النمري القرطبي: يوسف بن عبد الله، بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢، ص٥٩٢.

[٢٠٤] سورة القلم: ٤.

www.mtenback.com

وجاء في لباب الآداب أنه جاء في بعض الكتب : يقول الله تعالى: ما أنصفني عبدي، يدعوني فأستحيي أن أرده، ويعصيني ولا يستحيي مني»[٢٠٥] وعن عمر رضي الله عنه «أنه دخل على النبي ﷺ فوجده يبكي فقال يا رسول الله ما يبكيك؟ قال عليه الصلاة والسلام: أخبرني جبريل عليه السلام: أن الله يستحي من عبد يشيب في الإسلام أن يعذبه، أفلا يستحي الشيخ من الله أن يذنب وقد شاب في الإسلام؟»[٢٠٦].

وروي أن علقمة بن علاثة قال يا رسول الله عظني فقال رسول الله ﷺ: «استحي من الله تعالى استحياءك من ذوي الهيبة من قومك»[٢٠٧]. قال الماوردي وهذا الحياء يكون من قوة الدين، وصحة اليقين، ولذلك قال النبي ﷺ: «قلة الحياء كفر» يعني من الله لما فيه من مخالفة أوامره[٢٠٨].

وقال ﷺ: «الحياء نظام الإيمان، فإذا انحل نظام الشيء تبدد ما فيه وتفرق»[٢٠٩].

وفي لباب الآداب عن عائشة رضي الله عنها أنها قالت قال رسول الله ﷺ: «من لم يكن له حياءٌ فلا دين له، ومن لم يكن له حياءٌ في الدنيا لم يدخل الجنة»[٢١٠].

وروي عن سهل بن سعد الساعدي رضي الله عنه أنه قال: سمعت رسول الله ﷺ يقول: «اللهم لا يدركني زمان ولا أدركه، لا يتبع فيه العليم، ولا يستحيا فيه من الحليم»[٢١١].

---

[٢٠٥] ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٨٠-٢٨٢.

[٢٠٦] المصدر السابق نفسه.

[٢٠٧] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢١١.

[٢٠٨] المصدر السابق، ص٢١٣-٢١٤.

[٢٠٩] المصدر السابق نفسه. ونسبه القرطبي في بهجة المجالس، ج٢، ص٥٩١، إلى النبي سليمان عليه السلام.

[٢١٠] ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٨١.

[٢١١] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وعن عطاء رحمه الله قال: «مر رسول الله ﷺ برجل يغتسل، فقال: يا أيها الناس إن الله حيي عليم يستر ويحب الحياء، فإذا اغتسل أحدكم فليتوار عن أعين الناس»[٢١٢].

وقال أبو موسى الأشعري رضي الله عنه: «إني لأدخل البيت المظلم فاغتسل فيه من الجنابة، فأحني فيه صلبي حياءً من ربي»[٢١٣].

ولبعض البلغاء من العلماء والأدباء أقوال عن الحياء منها ما جاء عن أبي الحسن الماوردي، قال: «اعلم أن الخير والشر معانٍ تعرف بسمات دالة كما قال العرب في أمثالها: تخبر عن مجهوله مرآته. وكما قال سلم بن عمرو الشاعر:

لاَ تَسْأَلِ الْمَرْءَ عَنْ خَلاَئِقِهِ ... فِي وَجْهِهِ شَاهِدٌ مِنَ الْخَبَرِ

فسمة الخير الدعة والحياء، وسمة الشر القحة والبذاء، وكفى بالحياء خيرًا أن يكون على الخير دليلاً. وكفى بالقحة والبذاء شرًا أن يكونا إلى الشر سبيلا»[٢١٤].

ويؤخذ من هذا أن للحياء علامة في وجه صاحبه وسيماء يعرف بها كطلاقة الوجه، واستهلاله بالبشر من يلقاه إلى غير ذلك من صفات الوجه الحيي.

ويقول أيضًا: «وليس من سُلِبَ الحياء صادٌّ عن قبيح، ولا زاجر عن محظور فهو يقدم على ما يشاء، ويأتي ما يهوى»[٢١٥].

يقول الزمخشري: «وأيم الله إن الرشحة في الجبين، أحسن من الشمم في العرنين، ولئن تفر عرضك، وما في سقائك جرعة، خير من أن تملك البحر وما في وجهك مزعة»[٢١٦].

---

[٢١٢] ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٨٢.

[٢١٣] الأبشيهي، المستطرف، ص٢٢٠.

[٢١٤] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢١١.

[٢١٥] المصدر السابق، ص٢١١.

[٢١٦] الزمخشري: جار الله محمود بن عمر، أطواق الذهب في المواعظ والخطب، دراسة وتحقيق: أحمد عبد التواب عوض، القاهرة، دار الفضيلة، ص٧٧-٧٨.

www.mtenback.com

وهنا يجعل الزمخشري نداوة الجبين من الحياء ويعظمها ويراها أكرم من مظهر قليل الحياء الذي كثر ماله فرفع أنفه تباهيًا على غير حياء. وأكد أن الحياء يحمي العِرْضَ من المذلة ويمنع صاحبه السؤال، ولو كان الحيي فقيرًا فذلك أفضل للكمال والمروءة، وهو خير من جمع الأموال مع قلة الحياء، حيث يأتي يوم القيامة وما في وجهه مزعة لحم من اطراحه الحياء بكثرة المسألة ومزاولة إذلال النفس.

وقال ابن قيم الجوزية رحمه الله: «الحياء من الحياة، ومنه الحيا المطر، وعلى حسب حياة القلب تكون قوة خلق الحياء، وقلة الحياء من موت القلب والروح، فكلما كان القلب أحيا كان الحياء أتم»[٢١٧].

ومن طبيعة الإنسان أن يكون حييًا وأن يكون خلقه عفيفًا وقلبه نظيفًا؛ لأنه يدعو إلى الخير ويأمر بالفضل ويدفع عن الشر وفعله، وينمي في الناس طبيعة التسامح والحب ويخلق بينهم الرحمة والرأفة ويرفع من غلواء العداوة فلا يكون الإنسان الذي يتصف بالحياء إلا محبوبًا عندما تعرف فيه هذه الخصلة الحميدة ويقدر حقه ويحفظ ذمامه وترعى حضرته وغيبته. ولكن الحياء لايمنع المرء من أن يسأل عمَّا ينفعه ويزيل الجهل عنه أو يوصل الحق الذي له أو يرد العدوان الذي يقع عليه. وقد خطب عمر رضي الله عنه مرة فعرض لغلاء المهور فقالت له امرأة أيعطينا الله، وتمنعنا يا عمر؟ ألم يقل الله: ﴿وَآتَيْتُمْ إِحْدَاهُنَّ قِنطَارًا فَلَا تَأْخُذُوا مِنْهُ شَيْئًا﴾[٢١٨]، فلم يمنعها الحياء أن تدافع عن حق النساء و لم يمنع عمر أن يقول معتذرًا: «كل الناس أفقه منك يا عمر»[٢١٩]. لأن الحق لا يُستحى من قوله وعمله ولا يجب أن يقصر الإنسان في فعله،

---

[٢١٧] ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ص٣٩٠.

[٢١٨] سورة النساء: ٢٠.

[٢١٩] الجزائري: أبو بكر عمر، منهاج المسلم، ص٢١٧-٢١٩.

www.mtenback.com

ومن يقول الحق يرضى عنه الناس ولايلومه أحد، ولايعرض له منكر، بل عمله كله يرضي الله ويرضي الناس.

ومن مواقف الاستحياء التي يدعو إليها الخلق الفاضل تطهير اللسان من الفحش، والقصد في الكلام، ومسك اللسان، وتوقي أسباب سوء المقالة واللوم والبعد عن مواطن الشبه، ومعرفة حقوق الآخرين، وإنزالهم منازلهم، من الأقرباء والأبعاد، ومما قيل في ذلك: «من الحياء محافظة المرأة على كرامتها وحشمتها ومراقبة ربها وحفظ بعلها والبعد عن مسالك الريبة، ومواطن الرذيلة، لئلا يغيض ماء الحياء، ويذهب بالعفاف والبهاء. والتزام الحياء مطلب حتى في المواقف الصعبة التي ربما فقد الإنسان فيها صوابه، وانهارت قواه نتيجة لعظم المصيبة التي حلت به، فما يروى من مواقف الحياء أنه استشهد لامرأة ولد في بعض الغزوات، فجاءت تبحث عنه بين القتلى وهي متنقبة، فقيل لها: أتبحثين عنه وأنت متنقبة متحجبة؟ فأجابت: لأن أرزأ ولدي، فلن أرزأ حيائي»[٢٢٠].

قالوا عن الحياء:

نختم هذا البحث بأقوال تخيرناها من مصادر مختلفة في وصف الحياء وقيمته وآثاره. لما تحمله من جمال التعبير، ووضوح المعنى، وبلاغة المغزى، وما تمثله من أصالة الخبرة، وعمق التجربة، ورجاحة الحجا، التي انطلقت من ورائها تلك الأقوال.

فعن سعيد بن زيد رضي الله عنه أن رجلاً قال للنبي ﷺ أوصني، قال: «استحي من الله، كما تستحي رجلاً صالحًا من قومك»[٢٢١].

---

[٢٢٠] ابن حميد، صالح بن عبد الله: توجيهات وذكرى، ص١١٦-١١٩.

[٢٢١] ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٨٢.

www.mtenback.com

وروي عن الإمام علي رضي الله عنه أنه قال: أربع لو ضربت إليهن آباط الإبل، كان ذلك يسيرًا، لا يرجونَّ أحد إلا ربَّه، ولا يخافَنَّ إلا ذنبه، ولا يستحي إذا لم يعلم أن يقول: لا أعلم، ولا يتكبر إذا لم يعلم أن يتعلم»[٢٢٢].

وروي عن الإمام علي أيضًا أنه قال: «من كسا بالحياء ثوبه لم ير الناس عيبه».

وفي رواية أخرى: قال الأصمعي: سمعت أعرابيًا يقول: «من كسا الحياء ثوبه، خفي عن الناس عيبه»[٢٢٣].

وعن ابن عمر رضي الله عنهما قال: «الحياء والإيمان مقرونان جميعًا فإذا رفع أحدهما ارتفع الآخر»[٢٢٤].

وعن ابن قتيبة: قال الشعبي: «تعايش الناس زمانًا بالدين والتقوى، ثم رفع ذلك فتعايشوا بالحياء والتذمم، ثم رفع ذلك، فما تعايش الناس إلا بالرغبة والرهبة، وأظن أنه سيجيء ما هو أشد من هذا»[٢٢٥].

وقال الحسن: أربع من كن فيه كان كاملاً، ومن تعلق بواحدة منهن كان من صالحي قومه، دين يرشده، وعقل يسدده، وحسب يصونه، وحياء يقوده»[٢٢٦].

وقال بعض البلغاء: حياء الوجه بحيائه، كما أن حياة الغرس بمائه[٢٢٧].

وقال بعض العلماء: يا عجبًا! كيف لا تستحي من كثرة ما لا تستحي، ولا تتقي من طول ما لا تتقي[٢٢٨].

---

[٢٢٢] اليزيدي: محمد بن العباس، كتاب الأمالي، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة المتنبي، ص١٤١.

[٢٢٣] الأبشيهي، المستطرف، ص٢٢٠.

[٢٢٤] ابن قتيبة: عبد الله بن مسلم الدينوري، عيون الأخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة (١٣٤٣هـ/١٩٢٥م)، ج١، ص٢٧٨.

[٢٢٥] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٧٩٠.

[٢٢٦] النمري، القرطبي، بهجة المجالس، ج٢، ص٥٩٢.

[٢٢٧] الماوردي، أدب الدنيا والدين، ص٢١٣,٤

[٢٢٨] المصدر السابق، ص٢١٣.

www.mtenback.com

وقيل: الوجه المصون بالحياء، كالجوهر المكنون في الوعاء[٢٢٩].

وقيل: إن العباد عملوا على أربع منازل: على الخوف، والرجاء، والتعظيم، والحياء، فأرفعها منزلة الحياء لما أيقنوا أن الله يراهم على كل حال. قالوا: سواءٌ علينا رأيناه، أوَ رآنا، وكان الحاجز لهم من معاصيه الحياء منه[٢٣٠].

ويقال: القناعة دليل الأمانة، والأمانة دليل الشكر، والشكر دليل الزيادة، والزيادة دليل بقاء النعمة، والحياء دليل الخير كله[٢٣١].

وقالوا: الحياء تمام الكرم، وموطن الرضى، وممهد الثناء، وموقر العقل ومعظم القدر، وداع إلى الرغبة[٢٣٢].

وقال: أحمد ابن أبي الحواري: سمعت أبا سليمان الدارائي رحمة الله يقول: يقول الله تعالى: «عبدي إنك ما استحيت مني، أنسيت الناس عيوبك، وأنسيت بقاع الأرض عيوبك، ومحيت من أم الكتاب زلاتك، ولا أناقشك في الحساب يوم القيامة»[٢٣٣].

وقال الجنيد: الحياء رؤية الآلاء، ورؤية التقصير، فيتولد منهما حالة تسمى الحياء، وحقيقته خلق يحث على ترك القبائح، ويمنع التفريط في حق صاحب الحق[٢٣٤].

وقال السري: إن الحياء والأنس يطرقان القلب، فإن وجدا فيه الزهد والورع وإلاّ رحلا[٢٣٥].

---

[٢٢٩] الأبشيهي، المستطرف، ص٢٢٠.

[٢٣٠] المصدر السابق نفسه.

[٢٣١] المصدر السابق نفسه.

[٢٣٢] ابن منقذ، لباب الآداب، ص٢٨٤.

[٢٣٣] المصدر السابق نفسه.

[٢٣٤] ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ص٣٩٠.

[٢٣٥] المصدر السابق نفسه.

www.mtenback.com

وقال الفضيل بن عياض: خمس علامات الشقوة، القسوة في القلب، وجمود العين، وقلة الحياء، والرغبة في الدنيا، وطول الأمل[٢٣٦].

وقال يحيى بن معاذ: من استحى من الله استحى الله منه وهو مذنب[٢٣٧].

وقيل: أحيوا الحياء بمجالسة من يستحيى منه[٢٣٨].

وقال أرسطاطاليس: المروءة استحياء المرء نفسه، وفي حال العطاء قال: لا تستحي فإن الحرمان أقل منه[٢٣٩].

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

---

[٢٣٦] ابن قيم الجوزية، تهذيب مدارج السالكين، ص٣٩٠.

[٢٣٧] المصدر السابق نفسه.

[٢٣٨] ابن قتيبة، عيون الأخبار، ج١، ص٢٧٨.

[٢٣٩] الحصري القيرواني: إبراهيم بن علي، زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل، ومضبوط مشروح بقلم: د. زكي مبارك، بيروت، دار الجيل، الطبعة الرابعة، ج٤، ص١٠٥٤.

www.mtenback.com

الفهارس

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الآيات القرآنية

السورة	الآيـــة	رقمها	الصفحة
البقرة	﴿إِنَّ اللَّهَ لا يَسْتَحِي أَنْ يَضْرِبَ مَثَلاً... الآية﴾	٢٦	٧
	﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنْتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ.... الآية﴾	٣٥	١٤
النساء	﴿آتيتم إحداهن قنطاراً فلا تأخذوا منه شيئاً... الآية﴾	٢٠	٨٠
الأعراف	﴿بَدَتْ لَهُمَا سَوْآتُهُمَا... الآية﴾	٢٢	١٤
	﴿وَطَفِقَا يَخْصِفَانِ عَلَيْهِمَا مِنْ وَرَقِ الْجَنَّةِ... الآية﴾	٢٢	١٤
	﴿يَا بَنِي آدَمَ قَدْ أَنْزَلْنَا عَلَيْكُمْ لِبَاسًا يُوَارِي... الآية﴾	٢٦	١٥
الأنبياء	﴿يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لا يَفْتُرُونَ... الآية﴾	٢٠	١٢
الأحزاب	﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ... الآية﴾	٥٣	١٥
	﴿وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ... الآية﴾	٣٧	١٦
	﴿مِنْكُمْ وَاللَّهُ لا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ... الآية﴾	٥٣	١٦
القلم	﴿وَإِنَّكَ لَعَلَى خُلُقٍ عَظِيمٍ... الآية﴾	٤	٧٧

موقع الدكتور محمد علي مطنبك
www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأحاديث

الحديث	الصفحة
«استحي من الله تعالى استحياءك من ذوي الهيبة من قومك»	٧٨
«استحي من الله، كما تستحي رجلاً صالحاً من قومك»	٨١
«استحيوا من الله حق الحياء...»	٩
«اللهم لايدركني زمان ولا أدركه...»	٧٨
«أخبرني جبريل عليه السلام أن الله يستحي من عبد يشيب...»	٧٨
«أربع من سنن المرسلين... »	١٧
«أشد حياءً من العذراء في خدرها»	٥٩
«ألا أستحي من رجل تستحي منه الملائكة»	١٨
«إن لكل دين خلقاً وإن خلق الإسلام الحياء»	٧٥
«إن الله حييّ ستير يحب الحياء»	١٧
«إن الله عز وجل يستحي أن يبسط العبد يديه...»	١٧
«إن مما أدرك الناس من كلام النبوة الأولى...»	١٧
«الحياء نظام الإيمان...»	٧٨
«الحياء لا يأتي إلا بخير»	١٧
«الحياء من الإيمان والإيمان من الجنة...»	١٨
«الحياء خير كله»	٣٤
«دعه، فإن الحياء من الإيمان»	١٨
«قلة الحياء كفر»	٧٨
«ما كان الحياء في شيءٍ إلا زانه»	١٧
«من لم يكن له حياء فلا دين له...»	٧٨
«من تقوى الله اتقاء الناس»	١١

www.mtenback.com

الحديث	الصفحة
«من ألقى جلباب الحياء فلا غيبة له»	١١
«يا أيها الناس إن الله حيي عليم يستر ويحب الحياء...»	٧٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

فهرس الأشعار

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـــ ى ـــ		
هلاّ سألت	العمى	كعب بن زهير	٤	٢٢
		ـــ ا ـــ		
ما كان ذاك	وبناها	–	٣	٦٤
		ـــ ء ـــ		
على مثله	بكاءَ	الشريف المرتضى	٤	٥١
ووجوهاً	حياءَ	الشريف المرتضى	١	٥٠
الليل	حياءَ	علي بن إسحق البغدادي	١	٥١
وما في أن	الحياءُ	–	١	٤٣
تعالى	والحياءُ	أبو العلاء المعري	٢	٥٤
فمالك في	العناءُ	علي بن محمد البسامي	٣	٦٨
إذا رزق	يشاءُ	علي بن الجهم	٤	٦٨
بكت	الحياءُ	أروى بنت عبد المطلب	٢	٦٢
وخيّرنا	الفداءُ	عمرو بن الحارث العكلي	٢	٦٠
هل الدين	وحياءُ	أبو العلاء المعري	١	٥٤
أأذكر	الحياءُ	أمية بن أبي الصلت	٣	٢٢
قطوفُ	حياؤها	جميل بن معمر	٣	٣٢
حياءَك	حياؤه	ابن عبد القدوس	٢	٤٣
وجوارٍ	نساءُ	بشار بن برد	٣	٢٧
ذهبتَ	حواءِ	عبيد الله بن قيس الرقيات	٣	٣٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وبنفسي	الحياءِ	عمر بن أبي ربيعة	٢	٣١
فديتُ	الحياءِ	أبو نواس	٢	٢٨
مرّني	قباءِ	عمر بن أبي ربيعة	٤	٣٠
إن الحياة	الحياءِ	ابن دريد	١	٣٨
وأعرض	انطواءِ	بشار بن برد	٤	٦٧
إلى كم	الأصدقاء	أبو هلال العسكري	٣	٦٨
ومطراق	الحياءِ	الشريف الرضي	١	٥٢
أبكيك	بدائي	الشريف المرتضى	٤	٥٣
ما نحن	البقاءِ	الشريف المرتضى	٦	٥٢
لا خير	الحياءِ	–	١	٤٢
إذا أحببت	والحياءِ	–	٢	٤٤
لنا أخ	إخائه	الشريف العقيلي	٣	٣٦
ومترفٍ	والإيماءِ	أبو نواس	١	٥٤
كم من	الحياءِ	أبو العتاهية	٣	٣٧
يا غاية	والخطباء	أبو تمام	٢	٣٧
للهِ	لندائه	أبو الحسن التهامي	٣	٤٠
ولم ندعِ	بالحياءِ	علي بن الجهم	١	٣٢
ـــ ب ـــ				
وإني لأستحيي	رقيبُ	قيس بن الملوح	١	٣٣
وليلة	رقيبُ	الطغرائي	١	٥٧
مات	والرهَبُ	دعبل بن علي الخزاعي	٢	٤٥
وأفضلُ	يقاربُهْ	–	٢	٤٤

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
من كان	بوّابُ	أبو تمام	١	٤٣
وصفا	لمشربِ	أبو تمام	١	٣٨
بحرٌ	معصّبِ	بشر بن أبي خازم	٢	٢١
		ـ ت ـ		
رب بيضاء	فأبيتُ	حاتم الطائي	٢	٢٠
يدير	الحياةِ	صفي الدين الحلي	١	٤١
فكيف	الحياةِ	صفي الدين الحلي	٢	٤٢
قد زرتُ	المصيباتِ	لطيفة الحمدانية	٤	٦٣
حذيفة	النائباتِ	قرفة	٢	٥٩
		ـ ح ـ		
يا باذلاً	سنحا	صفي الدين الحلي	٢	٥٦
عبث	فتوردا	صفي الدين الحلي	١	٥٥
		ـ د ـ		
يا من يجود	الموعدُ	ابن المعتز	٢	٢٥
هل لعذري	مدادُهُ	المتنبي	٢	٤٥
قالت	المتنهّدُ	المتنبي	٢	٢٦
لعمري	والوردِ	هند الحمدانية	٧	٧٢
ولقد أصرف	السوادِ	بشار بن برد	٢	٦٧
عرقتُ	والنقدِ	ابن الوردي	٢	٥٨
وليس حياء	الوردِ	–	١	٦١
وتحمر	بالوردِ	ابن الوردي	١	٥٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
حسن	جوده	التهامي	٣	٤٠
إذا سفك	الوريد	أبو تمام	١	٣٨
وترى	الإثمد	قيس بن الملوح	٢	٣٣
وإن أكُ	يُحمدِ	حسان بن ثابت	٢	٢٩
بيضاء	توصدِ	بشار بن برد	١	٢٧
		— ر —		
أخجلَهُ	وخفَرْ	ابن وكيع التنيسي	١	٢٦
فدتكَ	ظهَرْ	ابن حيوس الأندلسي	٣	٤٠
وصفا	فعصفرا	ابن خفاجة	١	٢٦
طلقَ	أمطرا	ابن خفاجة	٢	٢٥
لّما التقينا	العذرا	مسلم بن الوليد	٢	٣٥
والنفس	مرارا	عمر بن أبي ربيعة	١	٣١
أقفل	لوقرا	التهامي	١	٤٩
ملك	زمرُ	ابن التعاويذي	٢	٤١
أراك	ولا أمرُ	أبو فراس الحمداني	٢	٤٧
إذا الليل	الكبْرُ	أبو فراس الحمداني	٤	٤٧
إذا حزم	جديرُ	العرجي	٦	٦٦
إذا جئت	تنظرُ	عمر بن أبي ربيعة	١	٣٤
أصدّ	أحاذرُهْ	قيس بن المنوح	١	٣٣
يا قلب	فصابرُ	عمر بن أبي ربيعة	١	٣١
وأكرمتُ	شاجرُهْ	الحطيئة	١	٢٨
لولا الحياء	يُزارُ	جرير	١	٣٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
ولو تجالسني	الخفرِ	حسان بن ثابت	٣	٣٠
لا يرفعُ	عارِ	الأعشى الكبير	١	٢٤
خليليّ	صدري	جرير	١	٣٥
ولا أنت	الكسر	الأعشى	١	٧٤
صلب	بمسمارِ	البحتري	١	٤٥
وأحيا	هزبرِ	الخنساء	١	٧٤
لا تسأل	الخبرِ	سلم بن عمرو	١	٧٩
فكم تخجل	البترِ	محمد الآنسي	١	٥٨
ونفسٌ	نظيرِ	المتنبي	٢	٤٦
ويحلم	وقرِ	التهامي	١	٤٩
لا تلمْ	الأفكارِ	إبراهيم بن سهل	١	٥٦
لمّا رمتني	الضاري	جرير	٢	٣٥
وإني لأستحيي	الغُبرِ	حاتم الطائي	٢	٢١
ياعجب الدهر	ساخرِ	الأعشى الكبير	٢	٢٣
— س —				
حاشا	عبوسا	المتنبي	٤	٣٣
فصدّت	حابسُ	القتال الكلابي	١	٣٤
ولئن كففتُ	المجلسِ	ابن خفاجة	٢	٣٦
رشأ	بحبسه	أبو تمام	١	٣٩
— ض —				
أجامل	مراضُها	الشماخ بن ضرار	١	٢٢
اتصلت	وعرضه	البحتري	١	٤٥

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
		ـ ع ـ		
وإني لأستحيي	أقرع	حاتم الطائي	٣	٢٠
فاعرفنَ	خُضّعا	المتنبي	٢	٣٧
وإني لتشيني	أربعُ	(أنشد) أبو الأسود الدؤلي	٢	٦٥
فيا قلب	صانعُ	قيس بن ذريح	٢	٣٢
جزاكَ	داعِ	صفي الدين الحلي	٣	٥٦
		ـ ف ـ		
أقسمت	وكفا	سبط بن التعاويذي	١	٤٠
عزفتَ	تعرفُ	الفرزدق	٢	٢٥
يشبّهن	نُزّفُ	الفرزدق	١	٩
إن الغني	حافي	أبو فراس الحمداني	٣	٤٨
في وجهه	يقطف	أسامة بن منقذ	٢	٤١
غيري	الوافي	أبو فراس الحمداني	٢	٤٨
		ـ ق ـ		
قمر	شقيقا	أسامة بن منقذ	٢	٤١
يا لائمي	شفقُ	أسامة بن منقذ	٣	٥٥
وبيض	لا يليقُ	الخرنق	٢	٦٢
		ـ ل ـ		
على أنّ	معدلا	أبو تمام	١	٣٩
لكِ يامنازلُ	أواهلُ	المتنبي	١	٤٦
ليزر	مشاعلُ	المنتبي	٢	٤٦

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
وتلومني	لا أفعلُ	حسينة بنت جابر العجلي	٢	٦٠
شمائله	مجتلي	محمد بن أحمد بن سهل	٢	٥٧
مساميحُ	باخلِ	حسان بن ثابت	١	٢٨
وهم خير	السلاسلِ	حسان بن ثابت	٢	٢٩
يا صاحبيّ	عذالِ	القتال الكلابي	٢	٣٤
حتى تداركها	وطوالِ	الفرزدق	٣	٢٧
ولقد عددتُ	بأعزلِ	–	٤	١٩
الورد	مُخجلِ	ابن وكيع التنيسي	١	٢٧
— م —				
إذا قلّ	وتكرُّما	حاتم الطائي	١	٢٠
هراشٌ	ملحَمهْ	البحتري	٢	٤٤
أبى	تكلُّما	حسان بن ثابت	١	٢٩
مثلت	فصمّما	أبو تمام	١	٣٩
هذا الذي	والحرَمُ	الفرزدق	٣	٢٤
بيض	حرامُ	عروة بن أذينة	٢	٩
في فتية	رُموا	الشريف الرضي	٢	٥٣
إنا أناس	حتْمُ	الفضل بن العباس اللهبي	٤	٥٧
عقم	عقمُ	أبو دهبل الجمحي	٣	١٥
ومن أحقُّ	الغممُ	ابن حيوس	٢	٥٤
قسم	بزمامه	أبو تمام	١	٣٨
لا والذي	القيّمِ	عمر بن أبي ربيعة	٣	٣١
صفراءُ	سقيمِ	أبو عبد الله النمري	٢	٨

www.mtenback.com

أول البيت	القافية	اسم الشاعر	العدد	الصفحة
صان	الكريمُ	هند بنت النعمان	١	٥٩
		ـــ ن ـــ		
وإني أرى	عريانا	–	١	٢٣
ينضاع	الأردانِ	التهامي	٢	٥٠
كريم	دواني	أبو الشيص	٢	٤٢
فإن تسألاني	يافتيانِ	لطيفة الحمدانية	٤	٦٣
تلاحظ	بوردتينِ	صفي الدين الحلي	١	٥٥
		ـــ ي ـــ		
وإني لأستحييه	يراني	–	١	٧
ألا أيها	يمانيا	زينب بنت مالك	٢	٦١
ومثل الدمى	التقافيا	النابغة الجعدي	١	٢٣
يضعف	قويّا	الشريف المرتضى	٢	٥٠
وأوجهٌ	الأقفيه	ابن التعاويذي	٢	٤٢
فسرّي	نهاريا	–	١	١١
وإني لأستحييك	ليا	قيس بن الملوح	١	٣٣

www.mtenback.com

فهرس الأمثال

المثـــل	الصفحة
«أحيا من بكر»	٧٣
«أحيا من فتاة»	٧٤
«أحيا من كعاب»	٧٤
«أحيا من مخبأة»	٧٤
«أحيا من مخدرة»	٧٤
«أحيا من هدي»	٧٤
«حياء الرجل في غير موضعه ضعف»	٧٥
«الحياء يمنع الرزق»	٧٥
«من عري من الحياء عري من الوفاء»	٦٩

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

المصادر والمراجع

الأبشيهي: شهاب الدين محمد:

المستطرف في كل فن مستظرف، بيروت مؤسسة عز الدين، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن أبي ربيعة، عمر:

شرح ديوان عمر بن أبي ربيعة، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، بيروت، دار الأندلس.

ابن أذينة، عروة:

شعر عروة بن أذينة، تحقيق: د. يحيى الجبوري، الكويت، دار العلم، الطبعة الثالثة ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الأسدي بشر بن أبي خازم:

ديوان بشر بن أبي خازم الأسدي، دمشق، وزارة الثقافة، مديرية إحياء التراث القديم، ١٣٧٩هـ/١٩٧٠م.

الأصفهاني، علي بن الحسين، أبو الفرج:

الأغاني، شرحه وكتب هوامشه: سمير جابر، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢، ١٤١٢هـ/١٩٩٢م.

الأعشى الكبير، ميمون بن قيس:

ديوان الأعشى الكبير، شرح وتعليق: د. محمد حسين الخانجي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الأنصاري، حسان بن ثابت:

شرح ديوان حسان بن ثابت الأنصاري، ضبط وتصحيح: عبدالرحمن البرقوقي، بيروت، دار الأندلس ١٣٨٦هـ/١٩٦٦م.

www.mtenback.com

البحتري، الوليد بن عبيد:

ديوان البحتري، تحقيق وشرح وتعليق: حسن كامل الصيرفي، مصر، دار المعارف، ١٩٦٣م.

ابن بَرد، بشار:

ديوان بشار بن برد، جمع وتحقيق وشرح: الشيخ محمد الطاهر بن عاشور، تونس، الشركة الوطنية للتوزيع، تونس، الشركة الوطنية والتوزيع، الجزائر، ج٢.

البنداق، محمد صالح يحيى بن الحكم الغزالي:

قدم له: إحسان عباس، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الأولى، ١٩٧٩م.

التهامي، أبو الحسن علي بن محمد:

ديوان أبي الحسن علي بن محمد التهامي، تحقيق: د. محمد عبد الرحمن الربيع،الرياض، مكتبة المعارف، الطبعة الأولى ١٤٠٢هـ/١٩٨٢م.

الثعالبي، عبد الله بن محمد، أبو منصور:

يتيمة الدهر في محاسن أهالي العصر، شرح وتحقيق: د. مفيد محمد قميحة، بيروت، دار الكتب العلمية، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٤م.

الجبوري، عبد الله:

ديوان أبي الشيص الخزاعي وأخباره، صنعة: عبد الله الجبوري، بيروت، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

جرير بن عطية:

ديوانه، بشرح محمد بن حبيب، تحقيق: نعمامن محمد أمين طه، مصر، دار المعارف، ١٩٧١م.

www.mtenback.com

الجعدي، النابغة:

شعر النابغة الجعدي، دمشق، المكتب الإسلامي، الطبعة الأولى ١٣٨٤هـ/١٩٦٤م.

الجمحي، وهب بن زمعة، أبو دهبل:

ديوان أبي دهبل الجمحي، رواية أبي عمرو الشيباني، تحقيق: عبد العظيم عبد المحسن، النجف، العراق، مطبعة القضاء، الطبعة الأولى ١٣٩٢هـ/١٩٧٢م.

ابن الجهم، علي:

ديوان علي بن الجهم، عني بتحقيقه: خليل مردم بك، بيروت، دار الآفاق الجديدة، الطبعة الثانية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

ابن حبيب، محمد بن حبيب:

شرح ديوان جرير، تحقيق: نعمان محمد أمين طه، دار المعارف، مصر، ١٩٧١م.

الحصري القيرواني، إبراهيم بن علي:

زهر الآداب وثمر الألباب، مفصل، ومضبوط مشروح بقلم: د. زكي مبارك، بيروت، دار الجيل، الطبعة الرابعة، ج٤.

الحطيئة، جرول بن أوس:

ديوان الحطيئة، برواية وشرح: ابن السكيت، القاهرة، مكتبة الخانجي، الطبعة الأولى ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

الحلي، صفي الدين:

ديوان صفي الدين الحلي، شرح وضبط وتقديم: د. عمر الفاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

www.mtenback.com

الحمداني، الحارث بن سعيد، أبو فراس:

شرح ديوان أبي الفراس الحمداني «من التراث العربي» بيروت، دار مكتبة الحياة.

ابن حميد، صالح بن عبد الله:

توجيهات وذكرى «من خطب المسجد الحرام»، جدة، مكتبة الضياء، الطبعة الأولى، ١٤١١هـ/١٩٩١م.

ابن حنبل، الإمام أحمد بن محمد:

موسوعة السنة، الكتب الستة وشروحها، مسند أحمد بن حنبل، اسطنبول، دار الدعوة، سحنون ، ط٢، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

ابن حيوس، محمد بن سلطان:

ديوان ابن حيوس، عني بنشره وتحقيقه: خليل مردم بك، بيروت، دار صادر «مصورة النسخة التي نشرها خليل مردم بك» ج١، ١٤٠٤هـ/١٩٨٤م.

الخزاعي، دعبل بن علي:

ديوان دعبل بن علي الخزاعي، جمع وتحقيق: عبد الصاحب عمران الدجيلي، بيروت، دار الكتاب اللبناني، الطبعة الثانية ١٩٧٢م.

ابن خفاجة، إبراهيم بن أبي الفتح بن عبد الله:

ديوان ابن خفاجة، ضبط وشرح وتحقيق: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار القلم.

الدؤلي، ظالم بن عمرو، أبو الأسود:

ديوان أبي الأسود الدؤلي، صنعة: أبي سعيد الحسن السكري، تحقيق: محمد حسن آل ياسين، بيروت، دار الكتاب الجديد، الطبعة الأولى، ١٩٧٤م.

www.mtenback.com

ابن دريد، محمد بن الحسن:

ديوان ابن دريد وشرح مقصورته للخطيب التبريزي، قدم لـــه ووضـــع هوامشه: راجي الأسمر، بيروت، دار الكتاب العربـــي، الطبعـــة الأولى ١٤١٥هـــ/١٩٩٥م.

ابن دريد، محمد بن الحسن الأزدي:

جمهرة اللغة: مصورة، حيدر أباد الدكن، مطبعة مجلس دائرة المعـــارف العثمانية، ١٣٤٥هـــ .

الذبياني، الشماخ بن ضرار:

ديوانه، حققه وشرحه: صلاح الدين الهـــادي، مصـــر، دار المعـــارف ١٩٦٨م.

ابن ذريح، قيس:

قيس ولبنى، شعر ودراسة، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، مصر، مكتبة مصر.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

أطواق الذهب في المواعظ والخطب، دراسة وتحقيق: أحمد عبد التـــواب عوض، القاهرة، دار الفضيلة.

الزمخشري، جار الله محمود بن عمر:

المستقصى في أمثال العـــرب، بـــيروت، دار الكتـــب العلميـــة، ط٢، ١٣٩٧هـــ/١٩٧٧م.

ابن زهير، كعب:

ديوانه، صنفه الإمام: أبي سعيد السكري، الرياض، دار الشواف للطباعة والنشر، ط١، ١٤١٠هـــ/١٩٨٩م.

www.mtenback.com

سبط بن التعاويذي، أبو الفتح محمد بن عبد الله:

ديوان سبط بن التعاويذي «مصورة طبعة المقطف بمصر ١٩٠٣م» بيروت، دار صادر

ابن سهل، إبراهيم الأندلسي الإشبيلي:

ديوان ابن سهل الأندلسي، ضبط وفهرسة وتقديم: د. عمر فاروق الطباع، بيروت، دار الأرقم بن أبي الأرقم، الطبعة الأولى ١٤١٩هـ/١٩٩٨م.

الشريف الجرجاني، علي بن محمد الحسيني:

كتاب التعريفات، بيروت، مكتبة لبنان، ١٩٧٨م.

الشريف الرضي، محمد بن الحسين:

ديوان الشريف الرضي، بيروت، دار بيروت للطباعة والنشر، ج٣، ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

الشريف العقيلي، علي بن الحسين بن حيدرة:

ديوان الشريف العقيلي، تحقيق: د. زكي المحاسني، مصر، دار إحياء الكتب العربية.

الشريف المرتضى، علي بن الحسين:

ديوان الشريف المرتضى، حققه: رشيد الصفار المحامي، راجعه: د. مصطفى جواد، قدم له: محمد رضا الشبيبي، مصر، عيسى البابي الحلبي وشركاه، ج٣، ١٩٥٨م

صريع الغواني، مسلم بن الوليد:

شرح ديوان صريع الغواني، تحقيق وتعليق: د. سامي الدهان، مصر، دار المعارف، الطبعة الثالثة، ١٩٧٠م.

www.mtenback.com

الضبي، الحسن بن علي الشهير بابن وكيع التنيسي:

ديوان الحسن على الضبي، تحقيق: هلال ناجي، دار الجيل، الطبعة الأولى ١٤١١هـ/١٩٩١م.

الطائي، حاتم بن عبد الله:

ديوان شعر حاتم بن عبد الله الطائي وأخباره، صاغه: يحيى بن مدرك الطائي، رواية هشام بن محمد الكلبي، دراسة وتحقيق: الدكتور: عادل سليمان جمال، القاهرة، مطبعة المدني.

الطائي، حبيب بن أوس ، أبو تمام:

ديوان أبي تمام بشرح: الخطيب التبريزي، تحقيق: محمد عبد عزام، مصر، دار المعارف، ج١، ١٩٦٤م.

الطبري، محمد بن جرير، أبو جعفر:

جامع البيان عن تأويل آي القرآن، بيروت، دار الفكر ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م، المجلد ٥ الجزء ٨.

الطغرائي، الحسين بن علي:

ديوان الطغرائي، تحقيق:د. علي جواد الطاروج. يحيى الجبوري ، الكويت، دار القلم، الطبعة الثانية ١٤٠٣هـ/١٩٨٣م.

أبو العتاهية، إسماعيل بن القاسم:

ديوان أبي العتاهية، تحقيق: مجيد طراد، بيروت، دار الكتاب، الطبعة الأولى، ١٤١٥هـ/١٩٩٥م.

العسكري، الحسن بن عبد الله:

شعر أبي هلال العسكري، جمع وتحقيق ودراسة: د. محسن عياض، بيروت، منشورات عويدات، الطبعة الأولى ١٩٧٥م.

www.mtenback.com

العصامي، عبد الملك بن حسين المكي:

سمط النجوم العوالي في أنباء الأوائل والتوالي، مصر، المطبعة السلفية ومكتبتها.

الفراهيدي، الخليل بن أحمد:

كتاب العين، بتحقيق: د. مهدي المخزومي ؛ د. إبراهيم السامرائي، دار ومكتبة الهلال.

الفرزدق، همام بن غالب:

ديوان الفرزدق، بيروت، دار صادر، ودار بيروت ج٢، ١٣٨٥هـ/١٩٦٦م.

قبش، أحمد:

مجمع الحكم والأمثال في الشعر العربي، دمشق، دار الرشيد، الطبعة الثالثة، ١٤٠٥هـ/١٩٨٥م.

ابن قتيبة، الدينوري، عبد الله بن مسلم:

ـ الشعر والشعراء، بيروت، دار الثقافة، ط٢، ١٩٦٩م.

ـ عيون الأخبار، بيروت، دار الكتاب العربي، «مصورة عن طبعة دار الكتب المصرية لسنة ١٣٤٣هـ/١٩٢٥م.

القرطبي، يوسف بن عبد الله:

بهجة المجالس وأنس المجالس، وشحذ الذاهن والهاجس، تحقيق: محمد مرسي الخولي، بيروت، دار الكتب العلمية، ج٢.

الكلابي القتال :

ديوان القتال الكلابي ، حققه وقدم له: د. إحسان عباس، بيروت، دار الثقافة، ١٣٨١هـ/١٩٦١م.

www.mtenback.com

اللغوي، عبد الواحد بن علي، أبو الطيب:

تحقيق: محمد عبد الجواد، ط٣، مصر، دار المعارف، ١٩٦٨م.

اللهبي، الفضل بن العباس:

شعر الأخضر اللهبي، جمع وتحقيق: د. محمود عبد الله أبو الخير، الأردن، دار الفرقان، ط١، ١٤١٣هـ/١٩٩٣م.

الماوردي، أبو الحسن علي بن محمد بن حبيب البصري:

أدب الدنيا والدين، بيروت، دار الكتب العلمية، ط٢ ١٤١٤هـ/١٩٩٣م.

المتنبي، أحمد بن الحسين أبو الطيب:

ديوان أبي الطيب المتنبي، شرح أبي البقاء العكبري، ضبطه وصححه ووضع فهارسه: مصطفى السقا وزميلاه، مصر، شركة مكتبة ومطبعة مصطفى البابي الحلبي، الطبعة الأخيرة، ١٣٩١هـ/١٩٧١م.

ابن المعتز، عبد الله بن محمد، أبو العباس:

ديوان أشعار الأمير أبي العباس، عبد الله بن محمد بن المعتز، دراسة وتحقيق: د. محمد بديع شريف، مصر، دار المعارف ١٩٧٧م.

المعري، أحمد بن عبدالله، أبو العلاء:

ثلاث رسائل في اللغة، تحقيق: د. صلاح الدين المنجد، بيروت، لبنان، دار الكتاب الجديد، ط ١، ١٩٨١م.

المعري، أحمد بن عبد الله، أبو العلاء:

اللزوميات، تحقيق: أمين عبد العزيز الخانجي، بيروت، مكتب الهلال، بيروت مكتبة الخانجي، القاهرة «مصورة طبعة مطبعة التوفيق الأدبية بمصر ١٣٤٢هـ.

www.mtenback.com

ابن معمر، جميل:

ديوان جميل شاعر الحب العذري، جمع وتحقيق: د. حسين نصار، مصر، مكتبة مصر.

ابن الملوح، قيس:

ديوان مجنون ليلى، شرح: الدكتور يوسف فرحات، بيروت، دار الكتاب العربي، الطبعة الثالثة ١٤١٧هـ/١٩٩٧م.

ابن منظور، محمد بن مكرم:

لسان العرب، بيروت، دار صادر.

ابن منقذ، أسامة:

- لباب الآداب، بيروت، دار الكتب العلمية، ١٤٠٠هـ/١٩٨٠م.

- ديوان أسامة بن منقذ، حققه وقدم له: د. أحمد البدوي، حامد عبد المجيد، بيروت، عالم الكتب.

الميداني، أحمد بن محمد النيسابوري:

مجمع الأمثال، تحقيق: محمد محيي الدين عبد الحميد، مصر مطبعة السنة المحمدية، ج١.

أبو نواس، الحسن بن هانئ:

ديوان أبي نواس، حققه وضبطه وشرحه: أحمد عبد المجيد الغزالي، بيروت، دار الكتاب العربي.

ابن الوردي، عمر بن المظفر المعري:

ديوان ابن الوردي، حققه: د. أحمد فوزي الهيب، الكويت. دار القلم

www.mtenback.com

اليازجي، إبراهيم اللبناني:

كتاب تحفة الرائد وشرعة الوارد في المترادف والمتوارد، المنصورة لاهور، باكستان، مجمع المعارف الإسلامية.

اليزيدي، محمد بن العباس:

كتاب الأمالي، بيروت، عالم الكتب، القاهرة، مكتبة المتنبي.

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com

موقع الدكتور مرزوق بن تنباك
www.mtenback.com

www.mtenback.com